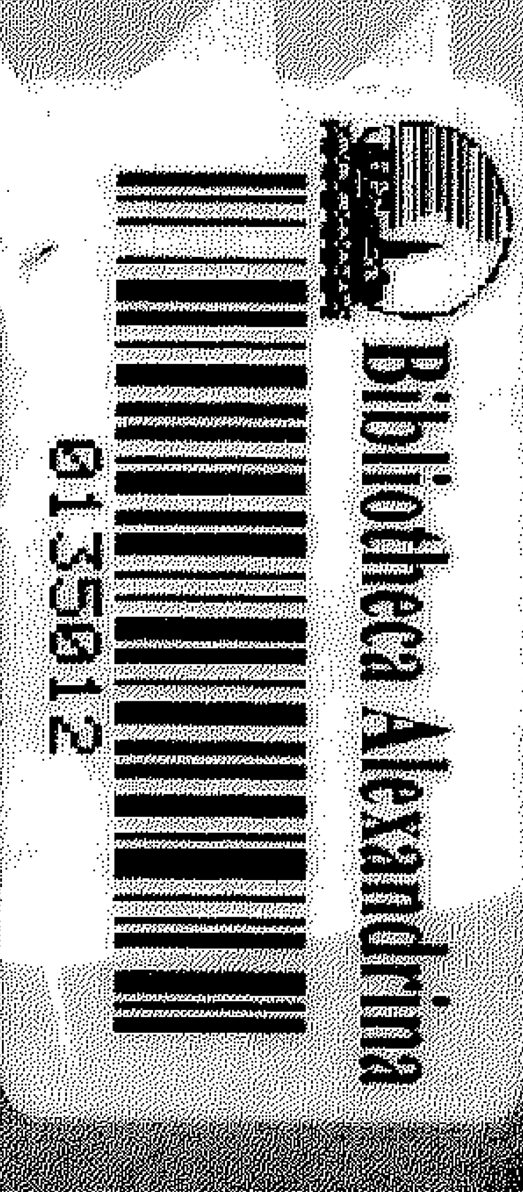
محاضرات في مقارنة الأديان

تأليف:
إبراهيم خليل أحمد
سابقاً القس إبراهيم خليل فلبس

إن الدين عند الله الإسلام



دار المنار

محاضرات في
مقارنة الأديان

تأليف:

إبراهيم خليل أحمد
سابقاً القس إبراهيم خليل فلبس

دار المنار

الطبعة الثانية

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

دار المنار

للطبع والنشر والتوزيع

٩ شارع الباب الأخضر ميدان الحسين القاهرة

ص.ب ٦١ هليوبولس ت : ٩١٥٠٨١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغلُواْ فِى دينكُمْ غَيرَ الحَقِ ولاَ تَتَّبِعُواْ أهوَآءَ قَومٍ قَدَ ضَلُّواْ مِن قَبلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ ﴾ .

« صدق الله العظيم »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الكاتب .. والكتاب

بقلم الدكتور عبد الودود شلبى

الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية

قد لا يعلم القارئ .. أننى تعرفتُ على مؤلف هذا الكتاب قبل أن يعرفنى بحوالى ربع قرن .. !

كنتُ قبل تعرفى عليه .. أعمل مفتشاً فى وزارة الأوقاف ، وفى أحد دهاليز هذه الوزارة العتيقة ... شاهدتُ رجلاً يحمل تحت إبطه بعض الملفات !

وحين سألتُ عنه أخبرنى مُحدِّثى عن قصة إيمانه وقصة حياته وقصة تضحيته التى تجاوزت كل ما عرفه الناس من تضحيات .. !

لقد كان أخى : « إبراهيم الخليل » - قبل أن يلتحق بالعمل فى الوزارة - « قسيساً » ، وكانت الكنيسة « تعده » كى يصبح مطراناً أو أسقفاً .. ! ولِمَ لا .. ؟ وقد تفوّق على غيره من رجال « الكهنوت » و « الأكليروس » فى دراسة « الطقوس » المعقدة .. وفى الدفاع عن « ألغازها » و « أسرارها » الغامضة .. ؟ وفى التصدى للإسلام الذى - كانوا ولا يزالون - يعدون ويستعدون للقضاء عليه فى أول فرصة ..

وكما يخرج اللبن من بين فرث ودم ، ويولد نور الفجر من بين ظلمة الليل .. وجد الأخ إبراهيم الخليل نفسه فجأة فى دائرة الضوء .. وزالت عن بصره وبصيرته غشاوة الظلام والزيف ، وانطلق « فاراً » بنفسه إلى الدين الحق ، وغلب صوت الإيمان فى أعماقه على نواقيس الخرافة والكراهية والحقد ، ومنذ

ذلك اليوم وأنا أتتبع أخباره ، وأقرأ كتبه ، وفى كل مرة أسمع عنه تزيدنى تضحيته يقيناً بصدق الإيمان ، والصلابة فى الحق ، والإصرار على محاربة جيوش الباطل والظلام المقنعة بالخديعة والغش .

وشاء اللّه - ولا راد لمشيئته - أن ألتقى به على غير موعد ، وأن يكون لقاؤنا به فى وقت بدأنا الاستعداد فيه لعمل إسلامى متفرد وهو تدريب الأئمة والدعاة من العالَم الإسلامى فى المعهد الذى أنشئ خصيصاً لهذا الهدف فى الأزهر الشريف ، وبدون تردد ، أو الاتفاق على موعد سابق محدد أسندتُ إليه تدريس مادة « الأديان المقارنة » فى هذا المعهد ، فكانت محاضراته التى ألقاها على هؤلاء الدعاة والأئمة ، كما كانت مناقشاته التى أثرى بها هذا النوع المتخصص من الدراسة المهمة ... كان هذا وغيره سبباً ملحاً لإخراج كل ما قال وكتب فى كتاب ينتفع به العالِم والمتعلم ، والباحث والمتخصص ، والمسلم وغير المسلم ، وقد ساعد على تحقيق هذه الفكرة وإخراجها من نطاق الأمل إلى الواقع والحقيقة وجود « الناشر » المتحمس لهذا النوع من الدراسات الجادة ، وهذه الدراسات العميقة الحية .. فكان ترحيب الأخ « كمال إسماعيل » بطبع هذه المحاضرات ترحيب الغيور المسلم على دينه الحق ، وترحيب الناشر الذى يهدف من وراء عمله - رضاء اللّه - قبل أى شئ ...

لهذا كان النجاح والتوفيق .. وكان هذا الكتاب الذى يضئ للحيارى والتائهين « شمساً ساطعة » تنير لهم الطريق ..

واللّه من وراء القصد ، وله الثناء والحمد من قبل ومن بعد .

د . عبد الودود شلبى

الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

دراسات فى مقارنة الأديان

● **سؤال :**

ما الفائدة العقائدية والأدبية من هذه الدراسات وقد أوصانا رسول اللَّه ﷺ بأن نستمسك بالكتاب والسُنّة وأن نعمل بهما لقوله : « تركتُ فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب اللَّه وسُنّة رسوله » (١) .

● **الجواب :**

١ - الترشيد إلى الصراع العربى الإسرائيلى .

٢ - رحلة الإيمان من إبراهيم إلى محمد صلى اللَّه عليهما وسلم .

٣ - اليهود بين التوحيد والتعدد .

٤ - النصارى بين التوحيد والتثليث .

٥ - الإسلام والتوحيد الخالص .

٦ - محمد خاتم النبيين ﷺ .

٧ - القرآن الكريم الرسالة الخالدة والإعجاز المتجدد .

* * *

---

(١) رواه مالك بن أنس فى الموطأ مرسلاً .

أولا - نشأة العقيدة النصرانية ومصادرها الأصلية :

١ - الفيثاغورية .　　　　٢ - الأبيقورية .

٣ - الرواقية .　　　　٤ - الميثراسية .

*　*　*

ثانيا - المجامع المسكونية المقدسة :

(أ) مجامع قبل البعثة النبوية عام ٦١٠ م :

١ - مجمع نيقية عام ٣٢٥

٢ - مجمع صور عام ٣٣٣

٣ - مجمع القسطنطينية عام ٣٨١

٤ - مجمع أفسس عام ٤٣١

٥ - مجمع خلقيدونية عام ٤٥١

٦ - مجمع القسطنطينية عام ٥٥٣

(ب) مجامع بعد البعثة النبوية عام ٦١٠ م :

١ - مجمع القسطنطينية عام ٦٨٠

٢ - مجمع القسطنطينية عام ٨٦٩

٣ - مجمع القسطنطينية عام ٨٧٩

٤ - مجمع ورمز بألمانيا عام ١٥٢١

*　*　*

ثالثا - التوراة والإنجيل بين الكاثوليك والبروتستانت :

١ - حقائق جغرافية وتاريخية للدلالة على التحريف .

٢ - نماذج من التحريف .

٣ - المجامع التى أقرت أسفار الكتاب المقدس .

٤ - البروتستانت يرفضون الأبوكريفا .

٥ - التوراة السامرية .

٦ - لفائف البحر الميت .

٧ - الخلاف البيِّن بين النسخة الكاثوليكية والنسخة البروتستانية .

* * *

رابعا - التراجم والمخطوطات :

(أ) التراجم :

١ - السبعينية .   ٢ - الفولجاتا .

(ب) المخطوطات .

(جـ) نسخ وطبع العهد الجديد .

الاثنين ٦ من ذى القعدة سنة ١٤٠٨ هـ (٢٠ من يونيو سنة ١٩٨٨ م) .

إبراهيم خليل أحمد

* * *

الفصل الأول

فى مقارنة الأديان

أولا - أسفار العهد القديم :

سميت العهد القديم للإشارة إلى : « وأخذ موسى الدم ورَشّه على الشعب وقال : هو ذا دم العهد الذى قطعه الرب معكم علي جميع هذه الأقوال » (١) .

يؤمن نصارى الكاثوليك (٢) والأرثوذكس (٣) بما جاء فى الترجمتين السبعينية عام (٢٨٢ ق . م - ٢٨٣ ق . م) ، والترجمة اللاتينية التى أنجزها القديس چيروم عام (٤.٤ م) وهى المعروفة بالڤولجاتا (Vulgate) وأقدم نسخة خطية وجدت للڤولجاتا ترجع إلى سنة (٧٣١ م) . مع اختلاف طفيف بينهما فى عدد الأسفار التى لا يعتمدها الأرثوذكس والتى هى موضع الشك والريبة . ويسلّم بها الروم الكاثوليك وهى أسفار « باروخ » و « المكابيين » . وبهذا يسلم الروم الكاثوليك بستة وأربعين سفراً من أسفار العهد القديم . أما البروتستانت (٤) فإنهم لا يسلّمون بسبعة أسفار من بين أسفار العهد القديم . وهذه الأسفار هى المعروفة بالأسفار الغير قانونية أو الأبوكريفا (Apocrypha) أى الأسفار الخفية . وهذه الأسفار هى :

---

(١) سفر الخروج ٢٤ : ٨

(٢) Catholic : كاثوليكى كلمة لاتينية معربة تعنى جامع حر الفكر .

(٣) Orthadox : أرثوذكسى كلمة لاتينية معربة تعنى صحيح العقيدة .

(٤) Protestant : بروتستانت كلمة إنجليزية تعنى مقيم الحُجّة .

طوبيا ، ويهوديت ، والحكمة ، وباروخ ، والمكابيين ، والجامعة (Eulesiastes) ، ويشوع بن سيراخ .. أى أن البروتستانت يعتمدون الأصل العبرى مع بعض الاختلاف ، وليس على الترجمة السبعينية أو اللاتينية . لأن هذه الأسفار المردودة من ضمن الأسفار التى زادت بها كل من الترجمة السبعينية والترجمة اللاتينية (الڤولجاتا) على الأصل العبرى .

* * *

ثانيا - أسفار العهد الجديد :

جاءت التسمية فى ذكرى دم يسوع المسفوك على الصليب فداءً لخطيئة الإنسان : « وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً ... ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد » [1] .

يعتمد النصارى جميعاً إلى جانب العهد القديم أسفارهم الخاصة ويطلقون عليها « العهد الجديد » ويتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين سفراً أقرها رجال اللاهوت من بين عشرات الكتب الأخرى المماثلة لها فى القرن الخامس الميلادى وهو - كما ترى - وقت متأخر جداً .

وتنقسم أسفار العهد الجديد إلى أربع مجموعات كما يلى :

١ - الأناجيل الأربعة المنسوبة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

٢ - أعمال الرُسل وتنسب إلى لوقا وفقاً لإقراره [2] .

٣ - الرسائل وهى إحدى وعشرين رسالة على هذا النحو :

(أ) أربعة عشر رسالة منسوبة إلى بولس ، والرسالة الرابعة عشر منها وهى « الرسالة إلى العبرانيين » موضع ريبة . فإن بعض اللاهوتيين لا يقرون

---

(١) العبرانيون ٩ : ١٢ - ١٥

(٢) أعمال الرسل : ١ : ١ ، ٢

بصحتها . جاء فى « دائرة المعارف البريطانية » : « ومما يشار إليه فى هذا الصدد أن الرسالة إلى العبرانيين لم يقرها مجمع نيقية عام ٣٢٥ م » .

(ب) ثم الرسائل السبع الباقية ويطلق عليها « الرسائل الكاثوليكية » وهى منسوبة إلى يعقوب ، وبطرس ، ويوحنا ، ويهوذا .

٤ - سفر « رؤيا يوحنا » ويطلق عليه كذلك « مشاهدات يوحنا » .

* * *

المجامع المسكونية واعتماد أسفار الكتاب

١ - مجمع نيقية عام ٣٢٥م :

ومن أبرز علماء النصارى القدامى :

- آريوس (Arius) أسقف كنيسة الأسكندرية .
- أوريجن (Origin) عام ٢١٠ م .
- يوسيبوس (Eusebus) عام ٣١٥ م .
- أثناسيوس (Athanasius) عام ٣١٥ م بطريرك الأسكندرية .

قرر هذا المجمع وجوب التسليم بسفر « يهوديت » فقط وهذا يظهر من المقدمة التى كتبها القديس جيروم على هذا السفر .

٢ - مجمع لوديسيا عام ٣٦٤م :

ومن أبرز علماء اللاهوت القدامى :

- سيريل (Cyril) عام ٣٤٠ م بطريرك القدس .

ظلت الأسفار الأخرى المشكوك فيها كما هى غير مسلّم بها من علماء اللاهوت الذين حضروا مجمع نيقية عام ٣٢٥ م إلى أن انعقد مجمع لوديسيا

عام ٣١٤ م فأقر حكم مجمع نيقية ، وأقر كذلك وجوب التسليم بسبعة أسفار هى :

١ - سفر استير .	٢ - رسالة يعقوب .
٣ - رسالة بطرس الثانية .	٤ - رسالة يوحنا الثانية .
٥ - رسالة يوحنا الثالثة .	٦ - رسالة يهوذا .

٧ - رسالة بولس إلى العبرانيين .

كما قرر المجمع إبقاء سفر رؤيا يوحنا مشكوكاً فيه .

٣ - مجمع قرطاج بتونس (Carthage) عام ٣٩٧م :

ومن أبرز علماء النصارى القدامى :

- إيڤانيوس (Epiphanius) عام ٣٧٠ م بطريرك قبرص .
- جريجورى النازياترى عام ٣٧٣ م .
- فلاستاريوس (Philastaruis) عام ٣٨٠ م بطريرك ڤينسيا .
- چيروم (Jerome) عام ٣٩٢ م .
- روفايين (Ruffin) عام ٣٩٠ م .
- أوغسطين (Augustine) عام ٣٩٤ م .

ورأس أوغسطين (١) مجمع قرطاج الثالث .

وهذا المجمع حضره أربعة وأربعون بطريركاً على مستوى المعمورة وكان من جملة الحاضرين عالمهم المعروف « أكستاين » لمجمع قرطاج عام ٣٩٧ م كما حضر مائة وستة وعشرين من كبار لاهوتيهم وقد أقر هذا المجمع قرارات المجامع

(١) The Last Book of The Bible .

السابقة بشأن اعتماد الأسفار المقدسة والتسليم بقانونيتها وبشأن الأسفار المشكوك فيها وزاد عليها وجوب اعتماد والتسليم بسبعة أسفار أخرى هى :

١ - سفر الحكمة .
٢ - سفر طوبيا .
٣ - سفر باروخ .
٤ - سفر الجامعة .
٥ - سفر المكابيين الأول .
٦ - سفر المكابيين الثانى .
٧ - سفر رؤيا يوحنا .

٤ - مجمع قرطاج (Carthage) عام ٤١٩ م :

ولقد عاد مجمع قرطاج للانعقاد مرة أخرى عام ٤١٩ م برئاسة القديس أوغسطين (St . Augustine) وحضره ٤٤ بطريركاً . وقد عد علماء هذا المجمع سفر باروخ جزءاً من سفر أرميا لأن باروخ قد كان بمنزلة نائب أرميا وخليفته (أرميا ٣٦ : ٤ - ٩ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٤٥ : ١) فلم يكتبوا اسم سفر باروخ على حدة فى فهرست أسماء الأسفار .

* * *

أما المجامع المسكونية التى انعقدت لترتيب الأسفار فهى :

١ - مجمع روما عام ٣٨٢ م :

قرر مجمع روما المنعقد عام ٣٨٢ م أن تكون أسفار العهد الجديد على الترتيب التالى :

(أ) الأناجيل [١] الأربعة « متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا » .

(ب) رسائل بولس الأربعة عشرة .

(جـ) رؤيا يوحنا .

(د) أعمال الرسل .

(هـ) الرسائل الكاثوليكية أو الجامعة وعددها سبعة رسائل .

---

(١) (Good Spell) مشتقة من التعبير (Gospel) والإنجيل كلمة معربة عن الإغريقية « أفانجيليون » وتعنى البشرى .

٣ - مجمع ترنت عام ١٥٤٦ م :

قرر مجمع ترنت المنعقد عام ١٥٤٦ م أن يكون ترتيب أسفار العهد الجديد المعتمدة على النحو التالى :

(أ) الأناجيل الأربعة « متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا » .

(ب) أعمال الرُسل .

(جـ) رسائل بولس الأربعة عشرة .

(د) الرسائل الكاثوليكية السبعة .

(هـ) سفر الرؤيا .

* * *

• قائمة بترتيب أسفار العهد الجديد عام ٣٦٧م :

وأقدم قائمة بترتيب هذه الأسفار هى التى أوردها الأسقف أثناسيوس أسقف الأسكندرية بمناسبة عيد الفصح عام ٣٦٧ م على النحو التالى :

(أ) الأناجيل الأربعة « متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا » .

(ب) أعمال الرُسل .

(جـ) الرسائل السبعة الكاثوليكية .

(د) رسائل بولس الأربعة عشرة .

(هـ) سفر الرؤيا يوحنا .

• المغزى :

إن الاختلاف بين هذه القوائم الثلاث فى ترتيب رسائل بولس والرسائل الكاثوليكية عميق جداً جداً فلا تتفق اثنتان منهما على قائمة واحدة .

* * *

الكتاب المقدس بين يدى البروتستانت

بعد انعقاد هذه المجامع المسكونية صارت هذه الأسفار المشكوك فيها مسلَّم بها بين جمهور المسيحيين وبقيت هكذا إلى مدة ألف ومائتين سنة من وقت اعتمادها . إلى أن ظهرت طائفة البروتستانت . فردوا حكم هؤلاء الأسلاف فى رفض أسفار « باروخ ، وطوبيا ، ويهوديت ، والحكمة ، والجامعة ، والمكابيين الأول ، والمكابيين الثانى » .

وقالوا : إن هذه الكتب واجبة الرد وغير مسلَّم بها وأصروا على هذا الإنكار والرد بوجوه منها :

١ - إن هذه الأسفار كانت فى الأصل فى اللغة العبرية والكلدانية ، ولا توجد هذه الأصول لفقدانها وفنائها وبقيت ترجماتها .

٢ - إن رجال اللاهوت القدامى لم يُسلِّموا بها . وقد قال القديس چيروم : « إنها ليست كافية لتقرير المسائل الدينية وإثباتها » .

٣ - كما أن اليهود لم يُسلِّموا بها بأنها إلهامية .

* * *

الفصل الثانى

النصرانية بين التوحيد والتثليث

● نشأة العقيدة النصرانية ومصادرها الأصلية :

خرج « بولس » بإرادته الذاتية بالدعوة المسيحية إلى أوروبا (آسيا الصغرى واليونان) لحسم خلاف بينه وبين بنى قومه اليهود الذين تربصوا به ليقتلوه لزندقته [١] مع أن السيد المسيح أقر أن الدعوة إقليمية لا عالمية [٢] وأوصى تلاميذه قائلاً : « إلى طريق أمم لا تمضوا ... بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » [٣] .

ونجم عن خروج « بولس » إلى أوروبا أن اضطر للمواءمة بين عقائد الخلاص المنتشرة فى الإمبراطورية الرومانية وعقيدة الخلاص التى نادى بها يسوع المسيح [٤] ، فامتزجت دعوة التوحيد بالنظريات الفلسفية الإغريقية على هذا النحو :

● الحياة الفكرية فى عصر المسيح :

وُلِد يسوع المسيح فى ناصرة الجليل حيث كانت المذاهب الفكرية التى يتحدث بها المثقفون فى الإمبراطورية الرومانية شائعة فى بلاد الجليل ، وحيث اختلط الغربيون والشرقيون كثيراً قبل عصر الميلاد ببضعة قرون . وأكثرها الفيثاغورية والأبيقورية والرواقية – وهى التى تعنينا – فضلاً عن شهرتها لأنها هى المذاهب

---

(١) أعمال الرسل ١٣ : ٤٤ – ٤٧
(٢) متى ١٥ : ٢٤
(٣) متى ١٠ : ٥ – ٧
(٤) متى : ١١ : ٢٨

التى تتصل بسلوك الإنسان وعقيدته . هذا إلى روافد عقائدية من الشرق مثل الديانة البوذية والهندوكية والفارسية والمصرية الفرعونية .

وبالإضافة إلى هذه الأديان فقد ظهرت بين بنى إسرائيل طوائف هى الصدوقيون والفريسيون - وقد استغل « بولس » تضاد مذهبيهما للاحتجاج والدفاع عن نفسه [1] - والآسينيون والسامريون . ونعطى لمحة سريعة عن كل :

١ - الفيثاغورية :

كان أتباع « فيثاغورس » طائفة تجتمع فى « إخوة » ذات شعائر وطقوس وصلوات يخضعون لشريعة تستوجب عندها عادات مقدسة وتستهجن عادات وتلتزم بالمحظورات والمحرّمات التى تشيع بين القبائل البدائية فهى أقرب إلى الروحانية .

وقد كانوا يعتقدون فى رئيسهم « فيثاغورس » أنه ابن الإله « أبوللو » وأنه حى لم يمت وسيظهر بعد حين . وأنهم يؤمنون - كالهنود - بتناسخ الأرواح . وأن الروح فى الجسد غريبة تلتمس الفكاك ولا فكاك لها بغير الأعمال الصالحة . وهم يحرِّمون أكل الحيوانات ، وعندهم أن الناس درجات : أنصاف آلهة ، وبَشر ، وآلهة .. و « فيثاغورس » أحد هؤلاء الآلهة .

وقد عاش « فيثاغورس » فى القرن السادس قبل الميلاد وتجوّل فى كل أنحاء العالَم المعمور . وبقيت نحلته فى كل مكان .

٢ - الأبيقورية :

نشأ « أبيقور » بين القرن الرابع والقرن الثالث قبل الميلاد فى جزيرة ساموس على مقربة من شواطئ آسيا الصغرى .

علّم تلاميذه أن الآلهة موجودة ولكنها مشغولة بسعادتها عن شئون الدنيا . ولا فرق عنده بين الأرباب والمخلوقات إلا فى لطافة المادة ونقاوة التركيب فكلها

---

(١) أعمال الرسل ٢٣ : ٦ - ٩

من المادة وليس لغير المادة وجود . ومن هنا كان يقبل كل تفسير لظواهر الوجود أنه يرجع به إلى الأسباب الطبيعية ، ويرفض كل ما كان مرجعه إلى الأرباب والغيبيات . ويواجه الموت نفسه على مذهبه فى السرور والألم . فإن لم يكن فى الموت مسرة فهو خلاص من آلام الحياة .

والأبيقورية لا تعفى أصحابها من التكاليف ، ولا تفرض [1] على كواهلهم واجبات ثقيلة ، ولكنها مع ذلك كانت تجمع قواعدها ووصاياها فى أصول منظومة أشبه بالأوراد الدينية التى يستظهرها المريد ويترسمها ترسم الإيمان والعبادة .

٣ - الرواقية :

وإذا شئنا تلخيص المذهب الرواقى فى كلمتين اثنتين فهاتان الكلمتان هما « الصبر والعفة » . وهم يؤمنون بالقضاء والقدر ، ويعتقدون أن الكون كله نظام متناسق يجرى على حسب المشيئة الإلهية .

وأن الوحى والرؤيا والعرافة وطوالع النجوم من وسائل العلم بأسرار الله وخفاياه .

ويلتقى الإنسان بالعقل مع الآلهة وبالجسد مع الحيوان الأعجم ، وفضيلته الإنسانية هى أن يطيع العقل ويعصى الجسد ، وعصيان الجسد هو مقاومة الشهوات ، وطاعة العقل هى طلب المعرفة .

وقد نشأ الرواقيون الأوُلون ماديين يؤمنون بأن الوجود كله وحدة واحدة ، ولكنهم تدرَّجوا فى الروحانية حتى إن الإله الأكبر « زيوس » لا يستطيع أن يجعل الجسد حراً من قيود المادة ولكنه يعطى قبساً من روحه الإلهية . فيصبح الناس بنعمته إخواناً لا يفرق بينهم وطن ، ولا جنس ، ولا نوع ، ولا لسان . وأينما يكونون فإنهم مع الله لا حاجة بهم إلى هيكل أو معبد فإن القداسة فى النفس التى تعبد وليست القداسة فى مكان للعبادة يصنعه الإنسان البناؤون والحدادون .

---

(١) اقرأ بتدبر كيف نسخ مجمع أورشليم « الختان » وهو أصل من أصول شريعة الله فى التوراة (تكوين ١٧ : ٩ - ١٤ ، ٢٣ - ٢٧ مع أعمال الرسل ١٥ : ٢٢ - ٢٩) .

٤ - ديانات الشرق فى الإمبراطورية الرومانية :

أخذت ديانات الخلاص تنتشر فى الإمبراطورية الرومانية ، فى ظروف اضطربت فيها أحوال الدولة وزادت متاعب الناس ، واشتد تبرمهم بالحياة وزاد سخطهم على حياتهم الدنيا .

فأخذت تلك الديانات تسلك الطريق إلى أفئدتهم ، وكان هناك عدد من عبادات الخلاص أخذتها روما عن الشرق : من هذه العبادات الشرقية كانت عبادة « هيسوس » من آسيا الصغرى ، « ميثراس » - أو « مذرا » - من فارس ، و « أوزوريس » من مصر .

٥ - الميثراسية :

وانتشرت عبادة « ميثراس » بشكل ملحوظ فى الإمبراطورية الرومانية ، فى القرون الأولى للميلاد . وبلغت مكانة مرموقة .

● مظهر العبادة الميثراسية :

يعتقد الفُرس أن « ميثراس » هو رب الشمس وأنه إله النور والحق ، وأنه البطل المجاهد دائماً ضد قوى الشر وأنه القاهر لجيوش الظلام .

وقد نصت العبادة الميثراسية على :

١ - خلود الروح .

٢ - وعلى القيامة من بين الأموات .

٣ - وعلى الحساب في اليوم الأخير .

ولها نظام كهنوتى دقيق حيث مارست :

١ - التعميد أو الاغتسال .

٢ - العشاء الرباني .

٣ - كما قدَّست يوم الأحد وأفرزته لعبادة « ميثراس » الأسبوعية .

٤ - وقدّست يوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر من كل عام لقيامة « ميثراس » أو ولادته الولادة الثانية وعروجه إلى السماء .

وكانت دعوة يسوع المسيح توائم ديانات الخلاص حيث نادى يسوع قائلاً : « تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » [١] .

كانت دعوة يسوع المسيح قد ظهرت فى وقت رأى الرومانيون - على اختلاف طبقاتهم - من البلبلة الفكرية العقائدية فى وقت رأوا فى عباداتهم وتقديسهم للأباطرة مجرد أمور شكلية . بل استخف المثقفون منهم بالعبادات السائدة التى كانت من أصل يونانى أو رومانى ، وكان من الطبيعى أن يتطلعوا إلى دعوة الخلاص لتحررهم وتخلصهم من عناء الحياة ومن الخطيئة .

ومن ثَمَّ كان من الطبيعى أن تتجه أنظارهم إلى دعوة يسوع المسيح وخلفائه من بعده . وكانت المسيحية - هى إحدى ديانات الخلاص من الشر التى صادفت نجاحاً كبيراً فى انتشارها فى أرجاء الإمبراطورية الرومانية - وكان إقبال الرومان عليها ملحوظاً . غير أن الكنيسة لم تستقر وتأخذ شكلها الرسمى إلا بعد انعقاد المجامع المسكونية .. من هنا ظهر رجال كثيرون بهذه الدعوة مما أحدث بلبلة خطيرة فى الفكر الدينى المسيحى أشار إليها « بولس » فى رسالته إلى أهل غلاطية بقوله : « إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر . ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يُحوِّلوا إنجيل المسيح . ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما . كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضاً : إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما . أفأستعطف الآن الناس أم الله ؟ أم أطلب أن أرضى الناس ؟ فلو كنت بعد أرضى الناس لم أكن عبداً للمسيح » [٢] .

* * *

---

(١) متى ١١ : ٢٨

(٢) غلاطية ١ : ٦ - ١٠ .

المجامع المسكونية

أولا : مجامع مسكونية قبل ابتعاث محمدا رسولا نبيا عام ٦١٠م :

١ - مجمع نيقية عام ٣٢٥م :

أمر الإمبراطور « قسطنطين » بعقد مجمع مسكونى مقدس عام ٣٢٥ م بمدينة نيقية بآسيا الصغرى لحسم هوية يسوع المسيح وحضره ٢٠٤٨ أسقفاً . وانقسم على نفسه إلى معسكرين :

أولاهما : معسكر بزعامة الأسقف « آريوس » ومعه ١٧٣٠ أسقفاً نادوا بأن يسوع إنسان بَشر مخلوق وحاشا أن يكون هو الإله أو ابن الله إطلاقاً .

وثانيهما : معسكر بزعامة الشماس « أثناسيوس » ومعه ٣١٧ أسقفاً نادوا بأن يسوع هو الإله المتجسد الذى صار خلاصاً للعالم .

ولما كان الإمبراطور « قسطنطين » هو الكاهن الأعظم للإمبراطورية فإنه وجد من دعوة « أثناسيوس » مواءمة بعقيدته الوثنية فأيّده وعضده واعتبر الآخرين هراطقة ، وانتهى المجمع بقرارات منها :

١ - حرمان « آريوس » وأتباعه ونفيه من البلاد .

٢ - يسوع هو الإله المتجسد [١] . ٣ - يسوع هو ابن الله حقيقة [٢] .

٤ - الخطيئة الأصلية [٣] . ٥ - الفداء « الصليب » [٤] .

٦ - حبس الكتاب المقدس فلا يمسسه شعب الكنيسة .

أما التعاليم الدينية فيتلقاها الشعب من أفواه الكهنة ، وظل كذلك حتى النهضة الدينية منذ انعقاد مجمع ورمز بألمانيا لمحاكمة « مارتن لوثر » عام ١٥٢١ م حيث تم تحريره .

---

(١) فيلبى ٢ : ٥ - ١١ (٢) غلاطية ٤ : ٤ (٣) رومية ٥ : ٦ - ٢١

(٤) كورنثوس أولى ٢ : ٢ ، كولوسى ١ : ١٤ - ١٥

تفنيد ودحض هذه الشبهة

أولا - من الأناجيل :

● يسوع نادى بالتوحيد الخالص :

١ - « وسأله رئيس قائلاً : أيها المعلم الصالح ، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحاً ، ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » (١) .

٢ - « فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا : هى اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد . وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك ، هذه هى الوصية الأولى » (٢) .

٣ - « الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (٣) .

٤ - « فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعتَ لى ، وأنا علمتُ أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت : ليؤمنوا أنك أرسلتنى . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هلم خارجاً . فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل ، فقال لهم يسوع : حلوه ودعوه يذهب » (٤) .

٥ - « فنادى يسوع وقال : الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى بل بالذى أرسلنى، والذى يرانى يرى الذى أرسلنى . أنا قد جئت نوراً إلى العالَم حتى كل مَن يؤمن بى لا يمكث فى الظلْمة . وإن سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أدينه ، لأنى لم آت لأدين العالَم بل لأخلص العالَم . مَن رذلنى ولم يقبل كلامى فله مَن يدينه ، الكلام الذى تكلمتُ به هو يدينه فى اليوم الآخير . لأنى لم أتكلم من نفسى لكن

---

(١) لوقا ١٨ : ١٨ ، ١٩

(٢) مرقس ١٢ : ٢٩ ، ٣٠.

(٣) يوحنا ٤ : ٢٤

(٤) يوحنا ١١ : ٤١ - ٤٤

الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم . وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية . فما أتكلم أنا به فكما قال لى الآب هكذا أتكلم » (١) .

٦ - « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته » (٢) .

٧ - « أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قِبَلِ الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم ، كما أنتم أيضاً تعلمون » (٣) .

٨ - « يسوع الذى من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذى جال ، يصنع خيراً ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس لأن الله كان معه . ونحن شهود بكل ما فعل فى كورة اليهودية وفى أورشليم » (٤) .

● **يسوع عبد الله :**

« الآن يارب انظر إلى تهديداتهم وامنح عبيدك أن يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة » (٥) .

ثانيا - من القرآن الكريم :

● **دحض شبهة الإله المتجسد :**

١ - ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِى الأَرْضِ جَمِيعاً ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦) .

---

(١) يوحنا ١٢ : ٤٤ - ٥٠ .
(٢) يوحنا ١٧ : ٣
(٣) أعمال الرسل ٢ : ٢٢
(٤) أعمال الرسل ١٠ : ٣٨ ، ٣٩
(٥) أعمال الرسل ٤ : ٢٩
(٦) المائدة : ١٧

٢ - ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ المَسِيحُ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (١) .

● **دحض شبهة البنوة الإلهية :**

﴿ وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ، سُبْحَانَهُ ، بَل لَّهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٢) .

● **دحض شبهة الصلب :**

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيَسى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ، مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (٣) .

* * *

٢ - مجمع صور عام ٣٢٣م :

إنه مجمع إقليمى حضره جميع الموحِّدون بزعامة « آريوس » لمساجلة « أثناسيوس » وأتباعه ، وحاولوا تحطيم رأس « أثناسيوس » إلا أن تدخل الإمبراطور « قسطنطين » واختطافه من بين أيديهم أدى إلى التنكيل بالموحدين .

يقول ابن البطريق : « إن فكرة التوحيد ، وتنزيه الله عن التجسد كانت سائدة فى القسطنطينية وأنطاكية (تركيا) وبابل (العراق) والإسكندرية (مصر الوجه البحرى) وأسيوط (مصر الصعيد الأقصى) .

* * *

---

(١) المائدة : ٧٢ (٢) البقرة : ١١٦ - ١١٧ (٣) النساء : ١٥٧ - ١٥٨

٣ - مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م :

حضره ١٥٠ (مائة وخمسون) من الأساقفة لمناقشة مسألة « مقدونيوس » الذى قال : إن الروح القدس مخلوق ، وإنه ملك من الملائكة الأطهار المكلّف بالوحى .

فانعقد المجمع وقرر الحاضرون أن الله واحد فى ثلاثة أقانيم هى : الآب والابن والروح القدس .

وهذه العقيدة - عقيدة التثليث - نادى بها من قبل « أفلاطون » الفيلسوف الإغريقى إذ قال : « إن المسيطر على العالَم ثلاث قوى هى : الكلمة (المكوِّن الأول) ، والعقل ، والروح .

تفنيد ودحض هذه الشبهة

أولا - من الأناجيل :

١ - « لذلك أقول لكم : كل خطية وتجديف يُغفر للناس ، وأما التجديف على الروح فلن يُغفر للناس . ومَن قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له ، وأما مَن قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالَم ولا فى الآتى »(١) .

٢ - « أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس وكان يقتاد بالروح فى البرية . أربعين يوماً يُجرَّب من إبليس ، ولم يأكل شيئاً فى تلك الأيام ، ولما تمت جاع أخيراً » (٢) .

٣ - « وكل مَن قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له ، وأما مَن جدَّف على الروح القدس فلا يُغفر له » (٣) .

ثانيا - من القرآن الكريم :

١ - ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ

(١) متى ١٢ : ٣١ ، ٣٢ (٢) لوقا ٤ : ١ ، ٢ (٣) لوقا ١٢ : ١٠

وَرُوحٌ مِّنْهُ ، فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ ، انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ (١) .

٢ - ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) .

* * *

٤ - مجمع أفسس عام ٤٣١ م :

حضره ٢٠٠ (مائتان) من الأساقفة لمناقشة مسألة « نسطور » أسقف القسطنطينية الذى قال : « إن مريم هى أم الإنسان يسوع ، وإن يسوع ذاته بَشر خلقه اللّه خلقاً إعجازياً ليكون هو وأمه آية عبر التاريخ . وانتشرت هذه العقيدة فى القسطنطينية ونصيبين والموصل والفرات والجزيرة (سوريا والعراق) فانعقد المجمع وأقر الحاضرون أن مريم هى والدة الإله المتجسد ومن ثَمَّ صدر قانون الإيمان الكنيسى الذى رفعها إلى منزلة الآلهة .

تفنيد ودحض هذه الشبهة

أولا - من الأناجيل :

١ - « وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه ، فقال له واحد : هو ذا أمك وإخوتك واقفونَ خارجاً طالبين أن يكلموك . فأجاب وقال للقائل له : مَن هى أمى ؟ ومَن هم إخوتى ؟ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال : ها أمى وإخوتى . لأن مَن يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى » (٣) .

---

(١) النساء : ١٧١   (٢) المائدة : ٧٣   (٣) متى ١٢ : ٤٦ - ٥٠ .

٢ - « فقالت مريم : هو ذا أنا أَمَة الرب ، ليكن لى كقولك ، فمضى من عندها الملاك . فقامت مريم فى تلك الأيام وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا . ودخلت بيت زكريا وسلّمت على اليصابات . فلما سمعت اليصابات سلام مريم ارتكض الجنين فى بطنها ، وامتلأت اليصابات من الروح القدس . وصرخت بصوت عظيم وقالت : مباركة أنتِ فى النساء ومباركة هى ثمرة بطنك . فمن أين لى هذا أن تأتى أم ربى إلىّ . فهو ذا حين صار صوت سلامك فى أذنى ارتكض الجنين بابتهاج فى بطنى . فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قِبَلِ الرب . فقالت مريم : تُعَظِّم نفسي الرب . وتبتهج روحى بالله مُخَلِّصى . لأنه نظر إلى اتضاع أَمَته ، فهو ذا منذ الآن جميع الأجيال تُطَوِّبنى » (١) .

ثانيا - من القرآن الكريم :

١ - ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ من دُونِ اللَّه ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ، إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِى بِه أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ، وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٢) .

٢ - ﴿ وَالَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

٣ - ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (٤) .

---

(١) لوقا ١ : ٣٨ - ٤٨

(٢) المائدة : ١١٦ - ١١٧

(٣) الأنبياء : ٩١

(٤) المؤمنون : ٥٠

٤ - ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (١) .

* * *

٥ - مجمع خلقيدونية عام ٤٥١ م :

نادى « ديسقورس » أسقف الاسكندرية بأن يسوع ذا طبيعة واحدة هى أنه من جوهر الله (٢) .

فانعقد مجمع فى مدينة خلقيدونية عام ٤٥١ م ودحض دعوة « ديسقورس » وقرر أن يسوع ذا طبيعتين : طبيعة إلهية ، وطبيعة ناسوتية التقتا فى شخصه .

ولم ترضخ مصر لهذا القرار بل تشبثت وأصرت على الإيمان بدعوة « ديسقورس » وكانت النتيجة الحتمية انشطار الكنيسة على ذاتها وظهور كنيسة الأقباط الأرثوذكس على مبدأ الإيمان بالطبيعة الواحدة .

تفنيد ودحض هذه الشبهة

أولا - من الأناجيل :

١ - « سمعتم أنى قلت لكم : أنا أذهب ثم آتى إليكم ، لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب ، لأن أبى أعظم منى » (٣) .

٢ - « ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله ، هذا لم يعمله إبراهيم » (٤) .

٣ - « وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه فى وسطهم وقال لهم : سلام لكم . فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً . فقال لهم : ما بالكم

---

(١) التحريم : ١٢

(٢) يوحنا ١٠ : ٣٠ ، كولوسى ١ : ١٥ ، تيموثاوس أولى ٣ : ١٦ ، العبرانيون ١ : ١ - ٤

(٣) يوحنا ١٤ : ٢٨ (٤) يوحنا ٨ : ٤٠

مضطربين ؟ ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم ؟ انظروا يدىّ ورجلىّ إنى أنا هو ، جسونى وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى . وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه . وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم : أعندكم ههنا طعام ؟ . فناولوه جزءاً من سمك مشوى وشيئاً من شهد عسل . فأخذ وأكل قدامهم » [1] .

ثانيا - من القرآن الكريم :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [2] .

* * *

٦ - مجمع القسطنطينية عام ٥٥٣ م :

حضره ١٤٠ (مائة وأربعون) من الأساقفة لبحث مسألة تناسخ الأرواح [3] .

قرر المجمع فساد هذه العقيدة وبطلانها . وأكدوا أن القيامة حق ، والبعث حق ، والحساب حق ، والجزاء حق .. كما قرروا حرمان أولئك الذين نادوا بتناسخ الأرواح .

* * *

ثانيا - مجامع مسكونية بعد ابتعاث محمدا رسولا نبيا عام ٦١٠م :

١ - مجمع القسطنطينية عام ٦٨٠ م :

نادى الأسقف « يوحنا مارون » بسوريا أن يسوع ذا طبيعتان : طبيعة إلهية، وطبيعة ناسوتية ، وهو ذا مشيئة واحدة : مشيئة إلهية [4] .

---

(١) لوقا ٢٤ : ٣٦ - ٤٣
(٢) المائدة : ٧٧
(٣) ملاخى ٤ : ٥ ، ٦ ، متى ١٧ : ٩ - ١٣ ، لوقا ١ : ١٧
(٤) يوحنا ٦ : ٣٨

فانعقد المجمع بمدينة القسطنطينية عام ٦٨٠ م وقرر أن يسوع المسيح ذا طبيعتان طبيعة : إلهية وطبيعة ناسوتية ، وذا مشيئتان : مشيئة إلهية ومشيئة ناسوتية « ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » (١) ، « ولكن لتكن لا إرادتى بل إرادتك » (٢) .

إلا أن السوريين تشبثوا بدعوة « يوحنا مارون » وانشطروا منفصلين عن الكنيسة الأم منشئين كنيسة الموارنة بالشام على أساس المشيئة الإلهية الواحدة .

* * *

٢ - مجمع القسطنطينية عام ٨٦٩ م :

نادى الأسقف « فوسيوس » أسقف القسطنطينية بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط « لأن الروح القدس يعلمكم فى تلك الساعة ما يجب أن تقولوه » (٣) .

فانعقد فى مدينة القسطينية فى عام ٨٦٩ م مجمع مسكونى لمناقشة هذه المسألة وقرر المجمع أن الروح القدس منبثق من الآب والابن لقول يسوع : « ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس . مَن غفرتم خطاياه تُغفر له ، ومَن أمسكتم خطاياه أمسكت » (٤) .

كما قرر حرمان « فوسيوس » ونفيه فى البلاد .

* * *

٣ - مجمع القسطنطينية عام ٨٧٩ م :

لم تمض عشر سنوات على المجمع الأخير حتى استعاد الأسقف « فوسيوس » مكانته . وانعقد مجمع القسطنطينية عام ٨٧٩ م وأصدر قرارات ببطلان قرارات

---

(١) متى ٢٦ : ٣٩

(٢) لوقا ٢٢ : ٤٢

(٣) لوقا ١٢ : ١٢

(٤) يوحنا ٢٠ : ٢٢ ، ٢٣

المجمع السابق المنعقد بالقسطنطينية عام ٨٦٩ م ، وأكد أن الروح القدس منبثق من الآب فقط ، ونجم عن هذا انشطار الكنيسة إلى الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك . فظهرت كنيسة الروم الأرثوذكس بالقسطنطينية فى الشرق والتى عرفت ببيزنطة ، وكنيسة الروم الكاثوليك فى الغرب . ونشأ كرسى البابوية فى الشرق نظير كرسى البابوية فى الغرب ، ونجم عن ذلك عدم الاعتراف ببابا روما على الإطلاق مع اختلافات جوهرية عقائدية بينهما .

* * *

٤ - مجمع ورمز بألمانيا عام ١٥٢١ م :

ظهر « مارتن لوثر » على إثر يقظة روحية عندما قرأ بتدبر وظل يستظهر ما قرأ عندما قرأ : « أما البار فبالإيمان يحيا » [١] ، فلفظ الكاثوليكية وتبرأ منها فى احتجاج علنى من وثيقته التى تتضمن تسع وتسعون بنداً وعلّقها على جدران كنيسة ويتمبرج الألمانية عام ١٥١٧ م محتجاً على البِدع المتفشية فى الكنيسة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - رفض العصمة البابوية .

٢ - رفض صكوك الغفران .

٣ - رفض الرهبانية مبرهناً الفساد الذى استشرى بين أديرة الرهبان والراهبات .

٤ - تحرير الكتاب المقدس من الحبس منذ عام ٣٢٥ م ، وتداوله بين أيدى شعب الكنيسة ليستنيروا ويفيقوا وينهضوا ويستنبطوا منه عقائدهم الأرثوذكسية وأخلاقياتهم وسلوكهم ومعاملاتهم ، ومن ثمَّ تفرعت مذاهب شتَّى .

فانعقد مجمع الأساقفة فى مدينة ورمز بألمانيا عام ١٥٢١ م ، وقرر حرمان « مارتن لوثر » وأتباعه وحرق كتبه وحرقه هو ذاته ، لكن شباب ألمانيا

---

(١) رومية ١ : ١٧

استطاعوا أن يختطفوه وانشقوا على الكنيسة منشئين الكنيسة المحتجة « البروتستاتنية » .

هذه المجامع العشرة وما استجد بعدئذ لم تهتد إلى الحقيقة ، ولعل رسائل بولس بالذات هى السر وراء هذا الخلاف الذى أشار إليه القرآن الكريم بقوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ [1] .

وقوله سبحانه : ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [2] .

وقوله جلّت حكمته : ﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَات مِّنَ الأَمْرِ ، فَمَا اخْتَلَفُواْ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [3] .

* * *

(١) النساء : ١٥٧ (٢) المائدة : ٤٨ (٣) الجاثية : ١٧

الفصل الثالث

التوراة والإنجيل
بين الكاثوليك والبروتستانت

. ترتكز المسيحية على أساس التوراة لإقرار يسوع بذلك قائلاً : « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل » [(١)] . فيسوع المسيح هو الامتداد الطبيعي لشريعة موسى وهو المصحح للشريعة التى انحرفت عن طريقها السوى لقول يسوع : « فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم » [(٢)] .

فضلاً عن حقائق تاريخية جغرافية تؤكد أن بنى إسرائيل قد تعرَّضوا للغزو فالعبودية كما تنبئنا الكتب بذلك مما عرَّض المقدسات للضياع ، وقد شهد بذلك سفر أخبار الأيام الثانى : « وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة » [(٣)] . ولقد عاشوا بمصر عبيداً للمصريين منذ عهد يوسف الصدِّيق إلى عهد موسى كليم الله عاشوا ٤٣. سنة [(٤)] . وأورثهم الله أرضاً تفيض لبناً وعسلاً ما داموا على الطريق السوى ، فإذا انقلبوا وتمردوا سلَّط الله عليهم أعداءهم :

---

(١) متى ٥ : ١٧ (٢) متى ١٥ : ٦

(٣) أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١٩

(٤) الخروج ٢ : ٢٣ - ٢٥ ، ١٢ : ٤٠ - ٤٢

١ - عبوديتهم لملك آرام النهرين - ٨ سنوات - (١٤٣٥ - ١٤٢٧ ق . م) [١] .

٢ - عبوديتهم لملك موآب - ١٨ سنة - (١٣٨٧ - ١٣٦٩ ق . م) [٢] .

٣ - عبوديتهم لملك كنعان - ٢٠ سنة - (١٢٨٩ - ١٢٦٩ ق . م) [٣] .

٤ - عبوديتهم للمديانيين - ٧ سنوات - (١٢٢٩ - ١٢٢٢ ق . م) [٤] .

٥ - عبوديتهم للعمونيين - ١٨ سنة - (١١٣٤ - ١١١٦ ق . م) [٥] .

٦ - عبوديتهم للفلسطينيين - ٤٠ سنة - (١١٣٤ - ١٠٩٤ ق . م) [٦] .

٧ - سبى إسرائيل إلى آشور (٩٧٥ - ٧٢١ ق . م) - وقع السبى عام ٧٢١ ق . م [٧] .

٨ - سبى يهوذا إلى بابل (٩٧٥ - ٥٨٦ ق . م) [٨] .

* * *

« كان اليهود فى أرض السبى مجتمع غير مرغوب فيه » [٩] .

وانطوى بنو إسرائيل على أحقاد ضد الجنس البَشرى كافة لا استثناء بسبب الجنس أو اللون أو اللسان أو الدين . فالكل سواء ما داموا غير يهود ، ومن ثَمَّ فإن للشرور فى السلوك اليهودى جذوراً عقائدية ، فالتوراة بوضعها الحالى تفسح المجال واسعاً أمامهم كشعب الله المختار [١٠] ، لكى ينهبوا ويسرقوا [١١] ، ويقتلوا الشعوب الأخرى [١٢] ، ومن أبرز تحريفاتهم وأقوى أهداف التحريف

---

(١) القضاة ٣ : ٥ - ٨

(٢) القضاة ٣ : ١٢ - ١٤

(٣) القضاة ٤ : ١ - ٢

(٤) القضاة ٦ : ١ - ٦

(٥) القضاة ١٠ : ٦ - ٩

(٦) القضاة ١٣ : ١

(٧) الملوك ثان ١٧ : ١ - ٢٠

(٨) أخبار الأيام ثان ٣٦ : ١٤ - ٢٠

(٩) استير ٣ : ٨ - ١١

(١٠) التثنية ٧ : ٦ ، اللاويون ٢٠ : ٢٤ ، ٢٦

(١١) التكوين ٣١ : ٩

(١٢) التثنية ٢٠ : ١٦ ، ١٧ ، يشوع ٦ : ٢١

ما جاء بسفر التثنية : « فتقرض أمماً كثيرة وأنت لا تقترض وتتسلط على أمم كثيرة وهم عليك لا يتسلطون » (١) .

- « الأجنبى تطالب وأما ما كان لك عند أخيك فتبرئه يدك منه » (٢) .

- « للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا » (٣) .

فالكتاب المقدس - بعهديه القديم والجديد - هو مزيج من كلام اللّه موحى به إلى موسى وعيسى والنبيين ، والفكر الإنسانى : « وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها » (٤) .

- « وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب : إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها . والمرأة التى لها رجل غير مؤمن وهو يرتضى أن يسكن معها فلا تتركه » (٥) .

بل ما هو وليد الفكر الإنسانى ظنى : « ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيى . وأظن أنى أنا أيضاً عندى روح اللّه » (٦) .

ويُفنِّد القرآن الكريم هذا الظن بقوله سبحانه : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إلاَّ ظَنّاً ، إنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الحَقِّ شَيْئاً ، إنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٧) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ، إِن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ ، وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الحَقِّ شَيْئاً ﴾ (٨) .

بل يقر « لوقا » أن الأناجيل ما هى إلا قصص من تصنيف مؤلفيها فيقول : « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا . كما سلّموا

---

(١) التثنية ١٥ : ٦ — (٢) التثنية ١٥ : ٣ — (٣) التثنية ٢٣ : ٢٠ .

(٤) كورنثوس أولى ٧ : ١٠ . — (٥) كورنثوس أولى ٧ : ١٢ ، ١٣

(٦) كورنثوس أولى ٧ : ٤٠ . — (٧) يونس : ٣٦ — (٨) النجم : ٢٨

إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخُدّاماً للكلمة . رأيتُ أنا أيضاً إذ قد تتبعتُ كل شئ من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علّمتُ به » (١) .

وسنفرد باباً لتبيان التحريف بالحُجّة والبرهان من الكتاب .

أما القرآن الكريم فيتسامى فى شموخ ورفعة وأنه كلام الله لا ريب فيه لقوله سبحانه :

- ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً ﴾ (٢) .

- ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٣) .

* * *

هذا وقد تحدثنا فى الفصل الأول عن المجامع المسكونية المتعلقة باعتماد الكتب أو رفضها ، وهى مجمع نيقية (عام ٣٢٥ م) ، ومجمع لوديسيا (عام ٣٦٤ م) ، ومجمع قرطاج (عام ٣٩٧ ، وعام ٤١٩ م) ، ومجمع روما (عام ٣٨٢ م) وكلها مجامع قبل بعثة محمد رسول الله وخاتم النبيين حتى مجمع ترنت (عام ١٥٤٦ م) بعد النهضة الدينية البروتستاتنية .

ومما هو جدير بالذكر موقف علماء البروتستانت من هذه المجامع .

فبعد انعقاد هذه المجامع صارت الكتب المشكوك فيها مُسلّم بها عند جمهور المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس ، وظلت هكذا إلى مدة ألف ومائتين من السنين من وقت اعتمادها إلى أن ظهرت طائفة البروتستانت ، فردوا حكمهم (حكم هؤلاء الأسلاف) بشأن الأسفار : باروخ ، وطوبيا ، ويهوديت ، والحكمة والجامعة ، والمكابيين .

---

(١) لوقا ١ : ١ - ٤ (٢) النساء : ٨٢ (٣) فصلت : ٤١ - ٤٢

وقالوا : إن هذه الكتب واجبة الرد . وغير مُسلَّم بها ، وردوا حكمهم فى بعض أبواب سفر « أستير » ، وسلَّموا بالبعض ، لأن هذا السفر يتضمن ستة عشرة إصحاحاً فقالوا : إن الإصحاحات التسعة الأولى - من الإصحاح الأول إلى ثلاثة أعداد من الإصحاح العاشر - واجبة التسليم ، وستة إصحاحات الباقية من الإصحاح العاشر - من العدد الرابع إلى الإصحاح السادس عشر - واجبة الرد . وتشبثوا فى إصرار بهذا الإنكار والنبذ بوجوه منها :

١ - أن هذه الأسفار كانت فى الأصل فى اللغة العبرية والكلدانية وغيرهما من الآرامية . ولا توجد الآن فى تلك اللغات (يعنى أن الأصول قد فقدت وبقيت ترجماتها) .

٢ - أن علماء النصارى القدامى لم يُسلِّموا بها . فقد قال « چيروم » (Jerome) بأنها ليست كافية لتقرير المسائل الدينية وإثباتها ، وقال « كلوس » بأنها لا تُقرأ فى كل مكان .

وصرح « يوسيبوس » (Eusebus) - فى القرن الثانى الميلادى - بأن هذه الأسفار محرَّمة سيما سفر المكابيين الثانى .

٣ - كما أن اليهود لا يُسلِّمون بها على أنها أسفار إلهامية .

* * *

● التوراة السامرية :

ونشير هنا إلى أن السامريين وهم العشرة الأسباط أبناء يعقوب عليه السلام الذين انشقوا عام (٩٧٥ ق . م) على رحبعام بن سليمان بن داود ، وأنشأوا مملكة إسرائيل فى الشمال بزعامة يربعام [١] ، وبقيت يهوذا فى الجنوب وملك عليهم رحبعام فى أورشليم .

---

(١) الملوك الأول ١٢ : ١٢ - ٣٣

هؤلاء السامريون لا يعتمدون من بين جميع أسفار العهد القديم - الخفى منها وغير الخفى - غير سبعة فقط وترد الباقى وتراه محرّفاً أو موضوعاً .

والأسفار التى يعتمدها السامريون هى : التوراة بأسفارها الخمسة (التكوين والخروج ، واللاويون ، والعدد ، والتثنية) ، وسِفر يشوع ويطلق عليها « الهكزاتوك » (Hexateuch) ، وكذلك سِفر القضاة ، وأنهم يرون سفرى يشوع والقضاة تاريخيين فحسب .

* * *

● **لفائف البحر الميت** (The Dead Sea Scrolls) :

هذا وقد ألقت لفائف البحر الميت - التى اكتشفت فى كهوف جبال البحر الميت بالأردن عام ١٩٤٨ اتفاقاً - ألقت الضوء على أن ثمة مجموعة كتب كانت قد جمعت ووضعت معاً فى القرن الرابع قبل الميلاد بينما وضعت لجنة جامينا (Jamina) الصورة شبه النهائية لهذه القائمة اليهودية العبرانية . وهنالك قوائم يهودية أخرى للصدوقيين والحسديين والسامريين والعنانيين .

* * *

الاختلاف بين النسختين الكاثوليكية والبروتستانتية

أولا - أسفار العهد القديم :

يتكوّن العهد القديم من تسعة وثلاثين كتاباً أو سِفراً حسب رأى رجال اللاهوت البروتستانت وينقسم إلى أربع مجموعات هى :

ا - التوراة :

وهى الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة إلى موسى (تثنية ٣١ : ٩ ، ٢٤ - ٢٧) ويطلق عليها البنتاتوك (Pentateuch) وتعنى الشريعة أو الناموس .

٢ - الأسفار التاريخية :

وهى اثنتا عشرة سِفراً تبدأ بسِفر يشوع وتنتهى بسِفر أستير .

٣ - الأسفار الشعرية :

وهى خمسة أسفار على النحو التالى :

(١) سِفر أيوب .

(٢) سِفر المزامير - لداود وآخرين .

(٣) سِفر الأمثال - لسليمان بن داود .

(٤) سِفر الجامعة - لسليمان بن داود .

(٥) سِفر نشيد الأنشاد - لسليمان بن داود .

٤ - أسفار الأنبياء :

وهى سبعة عشرة سِفراً وتنقسم إلى قسمين : الأنبياء الكبار بدءاً بأشعياء إلى حزقيال ، والأنبياء الصغار بدءاً بهوشع إلى ملاخى النبى .

● النسخة الكاثوليكية :

هذه الأسفار التسعة والثلاثون تشكل ما يسمى بالعهد القديم للأصل العبرانى . وهى التى ارتضاها جمهور البروتستانت من المسيحيين . وهناك مجموعة أخرى تسمى « الأسفار الخفية » (Apocryphal) . وتعنى : الغير قانونية أو المشكوك فى صحتها . بعضها زادت به الترجمة اليونانية السبعينية عن الأصل العبرى أربعة عشرة سِفراً . ويطلق اليهود على الأسفار التى تزيد بها الترجمة السبعينية عن الأصل العبرى بالأسفار الخفية وهى لا تدخل عندهم فى العهد القديم وإن كان بعضها - رغم أنه خفى - مقدَّس ومعتمد عند الأحبار الربانيين . وعند رجال اللاهوت الكاثوليك والأرثوذكس .



ثانيا - العهد الجديد :

يتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين سِفراً أقرها رجال اللاهوت من بين عشرات الكتب الأخرى المماثلة لها فى القرن الخامس الميلادى وتنقسم هذه الأسفار إلى أربع مجموعات كما يلى :

١ - الأناجيل الأربعة .

٢ - أعمال الرسل وهو منسوب إلى لوقا .

٣ - الرسائل المقدسة وهى إحدى وعشرون رسالة منها أربعة عشرة رسالة كتبها بولس .

٤ - سفر رؤيا يوحنا .

* * *

التراجم والمخطوطات

ا - التراجم

(ا) الترجمة السبعينية (Septugint) :

الترجمة السبعينية اليونانية تعد أقدم ترجمة لأسفار العهد القديم عن نسختها الأصلية العبرية إلى اللغة الإغريقية السائدة فى مدينة الإسكندرية - مصر آنئذ - وهى اللغة الهيلينية (Hellenic) - بأمر من الحاكم « بطليموس فيلادلفوس » عام (٢٨٣ - ٢٨٢ ق . م) وسميت بالسبعينية لأنه قام بها سبعون أو اثنان وسبعون حبراً يهودياً ، أى بمعدل ستة أخبار من العبرانيين عن كل سبط من أسباط بنى يعقوب عليه السلام الإثنى عشر . « فلما ترجموا الكتب نظروا إلى تراجمهم فكانت الترجمة واحدة ليس فيها اختلاف . فجمع الكتب وختمها بخاتمه ووضعها فى هيكل صنم يقال له « سرابيون » (Serapis) .

(٣) الترجمة اللاتينية الفولجاتا (Vulgate) :

عن دائرة المعارف البريطانية [١] : « قام القديس چيروم بتكليف من البابا بترجمة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد عن النسخة السبعينية الإغريقية للعهد القديم والنسخة الإغريقية للعهد الجديد إلى اللغة اللاتينية عام ٤٠٤ م وسميت نسخته « الڤولجاتا » (Vulgate) ، وكانت النسخة الوحيدة للكتاب المقدس المعروفة والمستعملة فى الكنائس الغربية فى العصور الوسطى ، والترجمة التى أقرها مجمع « ترنت » (Trent) سنة ١٥٤٦ م مأخوذة عن الڤولجاتا وهى التى أصبحت الكتاب المقدس الرسمى (Official Bible) للكنيسة الكاثوليكية الرومانية » .

* *

٣ - المخطوطات

ونقدم فيما يلى فكرة موجزة عن أهم المخطوطات :

(أ) النسخة السينائية :

ويفترض رجال اللاهوت أن تاريخ تدوينها يرجع إلى القرن الرابع الميلادى وهى تضم نصوص العهدين مع اختلاف فى ترتيب الأسفار ومع بعض النقص فى المحتوى ، وكذلك بعض الأسفار غير المعترف بها مثل رسائل القديس برنابا وغيرها .

وقد اكتشفها - فى دير سانت كاترين بسيناء (مصر) - الباحث الألمانى المغامر الدكتور « تشندورف » سنة ١٨٤٤ م ، وقد أهداها إلى قيصر روسيا . وحفظت فى بطرسبرج ، ثم نقلت إلى المتحف البريطانى عام ١٩٣٣ .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية جـ ٣ ص ٥٨٢

(٢) النسخة الإسكندرانية :

ويُخمن علماؤهم بأن تاريخ تدوينها يرجع إلى القرن الخامس الميلادى . وهى تضم نصوص العهد الجديد الإغريقى ، وهى ناقصة . ولم تكن هذه النسخة معروفة قبل القرن السابع عشر الميلادى . وقد أحضرها إلى چيمس الأول ملك انجلترا كريل لوكاريس (Cril Lucoris) وهى تضم رسالتى كلمنت (Clement) وهما ناقصتان جداً : وحفظت فى المتحف البريطانى فى لندن .

(٣) النسخة الفاتيكانية :

ويُفترض أن تكون قد دُوِّنت فى القرن الرابع الميلادى ، ومن المحتمل أن تكون هذه النسخة قد كتبت فى مدينة الإسكندرية وهى تضم نصوص العهدين القديم والجديد مع نقص واضح فى كثير من المواضع ، كما تضم أيضاً بعض الأسفار غير المعتمدة . وهى محفوظة فى مكتبة الڤاتيكان ، ولم تكن معروفة للعلماء النصارى قبل عام ١٤٨١ م .

(٤) النسخة الافرايمية :

ويُظن أنها قد دُوِّنت فى القرن الخامس الميلادى ، وهى تحوى نصوصاً إغريقية ناقصة جداً ، وإن كانت لها أهمية خاصة بالنسبة لأسفار العهد الجديد . وهى محفوظة فى المكتبة الوطنية بباريس (فرنسا) .

(٥) نسخة بيزا (The Codex Bezae) :

يُفترض أنها قد كتبت فى القرن الخامس الميلادى . وهى تضم الأناجيل وسِفر أعمال الرسل مع خلوها من كثير من النصوص - مثل صدر إنجيل يوحنا - وهى محفوظة فى مكتبة جامعة كمبردج ، وكان قد قدَّمها إليها رجل الدين البروتستانتى من مذهب الكالڤنى (The Odore de Bezae) (١٥١٩ - ١٦٠٥ م) .

(٦) النسخة البازلية (The Codex Bosileenis) :

ويُفترض تدوينها فى القرن الثامن الميلادى ، وهى تضم الأناجيل الأربعة مع نقص واضح فيها ، وهى محفوظة فى جامعة بازل بسويسرا .

(٧) نسخة لاديانوس (The Codex Laudianus) :

وترجع إلى القرن التاسع الميلادى . وهى تضم أعمال الحواريين وهى محفوظة فى بودليانا فى اكسفورد ، وهنالك أربع مخطوطات أخرى من هذا النوع أقل شأناً لنقصها وتأخر زمان كتابتها ، فهى ترجع إلى القرن التاسع حسب أكثر افتراضاتهم تفاؤلاً . وهى محفوظة فى باريس بفرنسا ، وواشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية ، وسويسرا ، وتفليس بالاتحاد السوفييتى .

* * *

٣ - نسخ وطبع العهد الجديد

تقول دائرة المعارف البريطانية (Encyclopedia Britannica) [١] :

« إن النسخ الأصلية (الإغريقية) لكتب العهد الجديد قد فنيت تماماً منذ مدة طويلة . (وفيما عدا بعض بقايا من صعيد مصر) فإن كل النسخ التى استخدمها المسيحيون فى الفترة التى سبقت مجمع نيقية قد غشيها نفس المصير » .

ومما يجب ذكره ، أنه حتى اختراع الطباعة لم يكن قد تم الوصول إلى اتفاق كامل فى أى من نصوص العهد الجديد الإغريقية أو اللاتينية .

إن السبب الرئيسى لهذه الحالة العجيبة يجب رده إلى التغيرات الواسعة التى انتشرت فى القرون الأولى ، فبالنسبة لرسائل بولس ، نجد أننا لو صرفنا النظر عن حوالى ستة رسائل مختلفة تماماً ، فإن النص يشبه أقدم إنتاج منها . ولو أن

---

(١) المجلد الثانى - طبعة ١٩٦٠ - صفحات ٥١٩ - ٥٢١

به كثير من أخطاء الكتبة إلا أن التغييرات الحادثة غير ذات قيمة ، وأغلبها قابل للشرح والتأويل من سياق الكلام ، وباختصار : يمكن القول بأن هذه التغييرات مرضية .

« أما موقف الأناجيل فعلى العكس من ذلك إذ أن التغييرات الهامة قد حدثت عن قصد مثل إضافة أو إدخال فقرات بأكملها ، وبالتأكيد فإن بعضاً منها قد استمد من مصدر خارجي » .

ويقول فردريك جرانت في كتابه « الأناجيل .. أصولها ونمائها » :

« إن أول نص مطبوع من العهد الجديد كان ذلك الذى قدّمه « أرازموس » عام (١٥١٦ م) وقبل هذا التاريخ كان يحفظ النص في مخطوطات نسختها أيدى مجهدة لكتبة كثيرين . ويوجد اليوم من هذه المخطوطات . . ٤٧ ما بين قصاصات من ورق إلى مخطوطات كاملة على رقائق من الجلد أو القماش .

إن نصوص جميع هذه المخطوطات تختلف اختلافاً كبيراً . ولا يمكننا الاعتقاد بأن أياً منها قد نجا من الخطأ ، ومهما كان الناسخ حى الضمير ، فإنه قد ارتكب أخطاء ، وهذه الأخطاء بقيت في كل النسخ التى نقلت عن نسخته الأصلية .

إن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدى المصححين الذين لم يكن عملهم دائماً القراءة الصحيحة » [١] .

* * *

---

(١) F . C . Grant : The Ctospels their origin and their Grourth ; Faber and Faber , 24 , Runel Square , London , 1957 , P . 32 .

الفصل الرابع

محمد رسول الله وخاتم النبيين
فى التوراة والإنجيل

أولا : تنبؤات التوراة

● دليل البحث وقانونيته :

قول الله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ الَّذينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ ، فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١) .

تنبؤات موسى عليه السلام

● النبوءة الأولى :

« أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به . ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » (٢) .

---

(١) الأعراف : ١٥٧ - ١٥٨

(٢) التثنية ١٨ : ١٨ ، ١٩

هذه النبوءة حفظها الله من التحريف وظنها أحبار اليهود ورجال اللاهوت المسيحيون أنها تنطبق على يسوع المسيح رجاء اليهود وأملهم . وارتآها بطرس وظنها أنها تنطبق على يسوع المسيح فقال فى خطابه فى رواق سليمان : « فإن موسى قال للآباء : إن نبياً مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم . له تسمعون فى كل ما يكلمكم به . ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى تباد من الشعب . وجميع الأنبياء أيضاً - من صموئيل فما بعده - جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام . أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذى عاهد به الله آباءنا قائلاً لإبراهيم : وبنسلك [١] تتبارك جميع قبائل الأرض » [٢] .

معانى الألفاظ

١ - « من وسط اخوتهم » :

المراد بذلك أبناء عمومتهم وإليك القرائن الدالة على ذلك :

(أ) عن إسماعيل وذريته : « وسكنوا من حويلة إلى شور التى أمام مصر حينما تجئ نحو آشور أمام جميع إخوته نزل » [٣] .

(ب) عن آدوم الذى هو عيسو : « وأوصى الشعب قائلاً : أنتم مارون بتخم إخوتكم بنى عيسو الساكنين فى سعير فيخافون منكم فاحترزوا جداً » [٤] .

(جـ) وصايا لله : « لا تكره أدومياً لأنه أخوك » [٥] .

---

(١) هذه البركة هى نبوءة أخرى لإبراهيم منحها الله له على إثر طاعته وطاعة ابنه الوحيد الذبيح الأول : « ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تكوين ٢٢ : ١٨) . وتحققت النبوءة فى شخص محمد ﷺ إذ قال الله فيه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) .

(٢) أعمال الرسل ٣ : ٢٢ - ٢٥

(٣) التكوين ٢٥ : ١٨

(٤) التثنية ٢ : ٤

(٥) التثنية ٢٣ : ٧

٢ - « مثلك » :

قرائن تؤكد أن يسوع مغاير لموسى وأن محمداً مثل موسى ، فضلاً عن قرينة نقلية جاءت فى التوراة : « ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجهاً لوجه » (١) .

٣ - « وأجعل كلامى فى فمه » - أى التلقين :

وسبق إشعياء النبى أن تنبأ عن ذلك النبى الأمى قائلاً : « وصارت لكم رؤيا الكل مثل كلام السفر المختوم الذى يدفعونه لعارف الكتابة قائلين : اقرأ هذا ، فيقول : لا أستطيع لأنه مختوم . أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له : اقرأ هذا ، فيقول : لا أعرف الكتابة » (٢) .

● القرآن الكريم يوضح شخصية هذا النبى فيقول الله سبحانه:

١ - ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٣) .

٢ - ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِى زُبُرِ الأَوَّلِينَ * أَوَ لَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِى إِسْرَائِيلَ ﴾ (٤) .

* * *

● النبوءة الثانية لموسى عليه السلام :

« وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل اللّه بنى إسرائيل قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب جميع قديسيه فى يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك » (٥) .

---

(١) التثنية ٣٤ : ١٠ . (٢) إشعياء ٢٩ : ١١ ، ١٢ (٣) العلق : ١ - ٥
(٤) الشعراء : ١٩٢ - ١٩٧ (٥) التثنية ٢٣ : ١ - ٣

معانى الألفاظ

١ - « الرب » (Rabbi) : كلمة معرَّبة عن العبرية تعنى السيد والمعلم .

٢ - « جاء » المراد ظهور ملاك الرب على نبيه وتلقينه كلام الله .

٣ - « أشرق » المراد تجلية الشريعة وتوضيحها [١] .

٤ - « تلألأ » المراد قمة البيان والهيمنة لقوله سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ، فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [٢] .

٥ - « أتى » (أتى عليه الدهر) : أهلكه وهى إشارة إلى انتقال القبْلة من بيت المقدس إلى مكة المكرَّمة ومن هيكل سليمان إلى الكعبة المشرفة . وتأكيد يسوع المسيح بخراب أورشليم وزوال النبوة والكتاب والملك من بنى إسرائيل واستبدالهم بخير أمة أُخرجت للناس :

- « قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البنَّاؤون هو قد صار رأس الزاوية ؟ من قِبَلِ الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا . لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطىَ لأمة تعمل أثماره . ومَن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه » [٣] .

- « يا أورشليم ، يا أورشليم .. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ، إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يُترك لكم خراباً . لأنى أقول لكم : إنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب » [٤] .

- « وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً : إنكِ لو علمتِ أنتِ أيضاً حتى فى يومك هذا ما هو لسلامك ، ولكن الآن قد أخفى عن عينيكِ ،

---

(١) متى ٥ : ١٧ - ٤٨

(٢) المائدة : ٤٨

(٣) متى ٢١ : ٤٢ - ٤٤

(٤) متى ٢٣ : ٣٧ - ٣٩

فإنه ستأتى أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة . ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفى زمان افتقادك » [1] .

- « ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها . حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال ، والذين فى وسطها فليفروا خارجاً ، والذين فى الكور فلا يدخلوها . لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب . ويقعون بفم السيف ويسبون إلى جميع الأمم ، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم » [2] .

وجاء فى القرآن الكريم قوله سبحانه : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ [3] .

كما جاء فى « صفوة البيان لمعانى القرآن » للشيخ حسنين محمد مخلوف [4] : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ أقسم الله تعالى ببقاع مباركة عظيمة . ظهر فيها الخير والبركة بسكنى الأنبياء . فـ ﴿ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ مجاز عن منابتهما بالأرض المباركة ، وفيها مهاجر إبراهيم ، ومولد عيسى ومسكنه عليه السلام . و ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ الجبل الذى كلّم الله عليه موسى عليه السلام . و ﴿ الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ مكة المشرّفة التى فيها البيت المعظم . وفيها وُلد وبُعث أشرف الخلق محمد ﷺ » .

على هذا القياس وذلك المنهج نقول وفقاً لما جاء بالتوراة :

٦ - « سيناء » :

- « ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل . ودعا الله موسى إلى رأس الجبل فصعد موسى » [5] .

---

(١) لوقا ١٩ : ٤١ - ٤٤ (٢) لوقا ٢١ : ٢٠ - ٢٤ (٣) التين : ١ -٣

(٤) صفحة ٨١٣ (٥) الخروج ١٩ : ٢٠ .

- « وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع فى كلامه معه » (١) .

٧ - « سعير أرض فلسطين موطن الأنبياء » :

- « فسكن عيسو فى جبل سعير . وعيسو هو أدوم » (٢) .

- « وعيسو هو الشقيق التوأم ليعقوب وهما ابنا إسحاق » (٣) .

٨ - « فاران » هى بادية الشام وتشمل أرض الحجاز :

« وسكن فى برية فاران . وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » (٤) .

(إنه الاستيطان الإجبارى بإقامة هاجر وابنها إسماعيل فى أرض مكة المكرّمة على إثر إيثار سارة ابنها ليرث أرض الميعاد ومن ثمَّ طلبت من إبراهيم إبعاد إسماعيل قائلة : « اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق ») (٥) .

وجاء فى القرآن الكريم قوله سبحانه من سورة إبراهيم : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ ، فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ * رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ، وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ، إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٦) .

* * *

(١) الخروج ٣٤ : ٢٩ (٢) التكوين ٣٦ : ٨ (٣) التكوين ٢٥ : ٢١ - ٢٦

(٤) التكوين ٢١ : ٢١ (٥) التكوين ٢١ : ١٠ (٦) إبراهيم : ٣٥ - ٣٩

ثانيا : تنبؤات الأنبياء

ا - حبقوق النبى تنبأ قائلا :

« اللّه جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران . سلاه . جلاله غَطَّى السموات . والأرض امتلأت من تسبيحه وكان لمعان كالنور . له من يده شعاع . وهناك استتار قدرته » (١) .

معانى الألفاظ

١ - « تيمان » : الفلاة الواسعة ، موضع قريب من بادية الحجاز يخرج منها إلى الشام على طريق البلقاء وهى حاضرة طيئ .

٢ - « سلاه » : سَلْوا وسُلُوا سُلْواناً (٢) : نسيه وطابت نفسه بعد فراقه .

٣ - « استتر » : تغطى ، ستره ستراً : أخفاه .

الشرح والتفسير

* « الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران » ..

اللّه والقدوس المراد به كلام اللّه وكلام القدوس أوحى إلى الرسول فى مهبطى الوحى بالمدينة المنوَّرة لعشر سنوات وبمكة المكرَّمة لثلاث عشر سنة .

* « جلاله غطى السموات » ..

المراد به نداء الصلاة .

ا - عند اليهود :

« وكلم اللّه موسى قائلاً : اصنع لك بوقين من فضة مسحولين تعملهما فيكونان لك لمناداة الجماعة ولارتحال المحلات » (٣) .

---

(١) حبقوق ٣ : ٣ ، ٤

(٢) بفتح السين وسكون اللام فى الأولى ، وضمهما فى الثانية ، وضم السين وسكون اللام فى الثالثة .

(٣) العدد ١٠ : ١

٢ - عند النصارى :

نشأت النصرانية بعد أن رفع الله إليه المسيح عيسى ابن مريم فى أرض الامبراطورية الرومانية فى آسيا الصغرى واليونان ، وأخذت الكثير من العادات والأعراف عن الإغريق والرومان فى العقيدة والشريعة والمعاملات حتى فى التقليد ، ومن التقليد « دق الأجراس » لاستدعاء الجماعة وصار للكنيسة برجاً للجرس من منشآتها الأساسية للدعوة للاجتماع للصلاة ولأمر هام .

٣ - عند المسلمين :

قال الله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُواْ الْبَيْعَ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [١] .

* « والأرض امتلأت من تسبيحه » ..

ويفسر هذا القرآن الكريم بقوله سبحانه من سورة الفتح : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [٢] .

ونكتفى بهذا القدر من نبوءة حبقوق ، وننتقل إلى سفر إشعياء حيث نجد تنبوءات صريحة عن ذات الرسول وصفاته وعن الدين الذى دعا إليه وعن الكعبة المشرفة منارة الهدى والدين القيم .

* * *

---

(١) الجمعة : ٩ (٢) الفتح : ٢٩

٢ - تنبؤات إشعياء النبى

١ - يتنبأ عن ذات وصفات الرسول :

« هو ذا عبدى الذى أعضده . مختارى الذى سُرّتْ به نفسى وضعتُ روحى عليه فيخرج الحق للأمم . لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمع فى الشارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يطفئ . إلى الأمان يخرج الحق . لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته » [١] .

● الشرح والتفسير من القرآن الكريم :

قال الله سبحانه عن رسوله المصطفى ﷺ :

- ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٢] .

- ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [٣] .

روى البخارى عن عطاء بن يسار قال : لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فقلت له : أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة . قال : أجل .. والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : ﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴾ (الأحزاب : ٤٥) .. فى التوراة : « يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل . ليس بفظ ولا سخاف بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح . ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلاّ الله ، فيفتح بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صما ، وقلوباً غلفاً » (الأحاديث القدسية جـ ١ ص ٢٠٨) .

٢ - إشعياء يتنبأ عن رسالة الرسول فيقول :

« أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم ، لتفتح عيون العمى . لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة » [٤] .

---

(١) إشعياء ٤٢ : ١ - ٤

(٢) القلم : ٤

(٣) آل عمران : ١٥٩

(٤) إشعياء ٤٢ : ٦ ، ٧

● **التفسير والشرح من القرآن الكريم :**

قال الله سبحانه : ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) .

إن شاول الذى هو « بولس » كان حاخاماً يهودياً قبل أن يصير نصرانياً وادعى أنه رسول يسوع المسيح ، إنه كان يعلم بظهور النبى العربى فى شبه الجزيرة العربية فنزل إليها مدّعياً أنه ذلك النبى : « للوقت لم أستشر لحماً ودماً . ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى بل انطلقتُ إلى العربية ثم رجعتُ أيضاً إلى دمشق . ثم بعد ثلاث سنين صعدتُ إلى أورشليم لأتعرف ببطرس » (٢) ، وادعى أن الله اصطفاه ليكون نوراً للأمم : « كان يجب أن تكلموا أنتم أولاً بكلمة الله ولكن إذا دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هو ذا نتوجه إلى الأمم . لأنه هكذا أوصانا الرب . قد أقمتك نوراً للأمم لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض » (٣) .

* *

٣ - إشعياء يتنبأ عن هجرة الرسول إلى يثرب وعن غزوة بدر فيقول :

– « لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التى سكنها قيدار لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر . الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه » (٤) .

---

(١) المائدة : ١٥ - ١٦
(٢) غلاطية ١ : ١٥ - ١٨
(٣) أعمال الرسل ١٣ : ٤٦ ، ٤٧
(٤) إشعياء ٤٢ : ١١ - ١٣

معانى الألفاظ

- « سالع » : السلع : الشق فى الجبل ونحوه [1] .

● **التفسير والشرح :**

لعل المراد بالشق فى الجبل « ثنيات الوداع » عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن :

طلـع البـدر علينا   مـن ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   مـا دعـا لله داع

* « **الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته** » ..

أولاً - إن الله وعد أن ينصر رسله ولنا من التوراة والإنجيل قرائن تؤكد هذه الحقيقة ، من ذلك نصره لعبده موسى قائلاً :

- « أرسل هيبتى أمامك . وأزعج جميع الشعوب الذين تأتى عليهم وأعطيك جميع أعدائك مدبرين » [2] .

وفى مواجهة شعب بنى إسرائيل لفرعون وجيشه قال لهم موسى :

- « فقال موسى للشعب : لا تخافوا . قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم . فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيضاً إلى الأبد . الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » [3] .

- « وكان نصر الله لبنى إسرائيل » [4] .

وثانياً - ونصر الله عبده عيسى ابن مريم الذى قال لحوارييه :

- « فقال له يسوع : رد سيفك إلى مكانه . لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون . أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر

---

(١) المعجم الوسيط جـ ١ ص ٤٤٣
(٢) الخروج ٢٣ : ٢٧
(٣) الخروج ١٤ : ١٣ ، ١٤
(٤) الخروج ١٤ : ٣٠ ، ٣١

من اثنى عشر جيشاً من الملائكة . فكيف تكمل الكتب ؟ إنه هكذا ينبغى أن يكون » (١) .

ثالثاً - ومحمد رسول الله ﷺ يقول الله فى نصره :

- ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ، وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ، وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

وجاء فى سورة آل عمران صورة مشرقة لنصر الله لرسوله والمؤمنين فى غزوة بدر فيقول الله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ، فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَى ، إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ، وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ (٣) .

وعن جابر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطيتُ خمساً لم يعطهن أحد قبلى : نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر . وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » (٤) .

* *

٤ - تنبأ إشعياء عن مكة المكرّمة التى أنجبت سيد الخلق بينما أنجبت أرض بيت المقدس الأنبياء من بنى إسرائيل ولهذا رمز إلى مكة بالمرأة العاقر بينما بيت المقدس بالمرأة الولود فيتنبأ إشعياء بالرمز قائلاً :

- « ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد . أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل قال الرب » (٥) .

---

(١) متى ٢٦ : ٥٢ - ٥٤ (٢) الأنفال : ١٧ (٣) آل عمران : ١٢٣ - ١٢٦

(٤) متفق عليه - مشكاة المصابيح - جـ ٣ - ص ١٦٠١ - رقم الحديث (٥٧٤٧) .

(٥) إشعياء ٥٤ : ١

إن هذه النبوءة تعود بنا إلى إبراهيم وزوجتيه سارة وهاجر ، إلى مواعيد الله لإبراهيم بأن يرث الأرض ونسله من بعده من النيل إلى الفرات ، وتنبهر سارة بهذا الوعد فتقدم هاجر لإبراهيم ليتزوجها ولينجب منها نسلاً وقد كان . ووهبه الله إسماعيل فلما أن بلغ إسماعيل السعى أرسل الله ملائكته إلى إبراهيم بالبشرى بإسحاق (١) .

وفى سورة هود يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَماً ، قَالَ سَلاَمٌ ، فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ (٢) .

فلما أنجبت سارة ابنها إسحاق آثرته على إسماعيل ابن إبراهيم .

- « فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها . لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق . فقبح الكلام جداً فى عينى إبراهيم لسبب ابنه » (٣) ، ولم يكن الأمر أمرها بل هى إرادة الله لتعمير بيت الله الحرام : « وسكن فى برية فاران » (٤) .

ويذكر القرآن الكريم أنبياء الله وفى ختامهم محمد رسول الله الذى يتميز عن هؤلاء بدرجة ، فيقول الله سبحانه :

---

(١) تكوين ١٨ : ٩ - ١٥ (٢) هود : ٦٩ - ٧٣

(٣) التكوين ٢١ : ١٠ ، ١١

(٤) التكوين ٢١ : ٢١ ، وللاستزادة اقرأ بتدبر من سفر التكوين (الإصحاحات ١٥ - ١٧ ، ٢١ ، ٢٢) .

- ﴿ إنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ من بَعْده ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً * رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً * لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ، أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ، وَالْمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُونَ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ (١) .

هذه الدرجة أثارت حسد بنى إسرائيل فكشف اللّه سرائرهم بقوله :

- ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (٢) .

- ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً ﴾ (٣) .

- ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (٤) .

* *

٥ - هذه السرائر التى لا يعلمها إلا اللّه وحده أوحى بها إلى إشعياء النبى عن النزاع الدائر بين أهل الكتاب وبين المسلمين ، فيقول إشعياء فى هذا الصدد من ذات الاصحاح : « كل آلة صُوِّرت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه . هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندى يقول الرب » (٥) .

ويكشف القرآن الكريم صنوف التيارات المعادية للإسلام وبالرغم من فظاعتها وهولها إلا أن اللّه ينصر دينه ونبيه ورسوله محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ويزكيه ، فيقول سبحانه :

---

(١) النساء : ١٦٣ - ١٦٦ (٢) البقرة : ١٠٥ (٣) البقرة : ١٠٩
(٤) البقرة : ١٢٠ (٥) إشعياء ٥٤ : ١٧

- ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

- ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٢) .

* *

٦ - يتنبأ إشعياء عن الكعبة المشرَّفة بأنها منارة الهدى تتوهج بنور التوحيد فتبدد الظلام الذى خَيَّم على الأرض ، ظلام الجهل والشرك عبَّر عنها القرآن الكريم بأنها : ﴿ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ، وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (٣) .

فيقول إشعياء : « قومي استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك . لأنه هاهى الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم . أما عليك فيشرق الرب ومجده عليك يرى فتسير الأمم فى نورك والملوك فى ضياء إشراقك » (٤) .

* *

● **ديانات الشرق :**

الهندوكية - والكونفوشيسية - والبوذية - والمثراسية - والفرعونية - والعرب فى العصر الجاهلى .

● **ديانات الغرب :**

الفيثاغورية - والأبيقورية - والرواقية - وعبادة الأباطرة الرومان .

---

(١) التوبة : ٣٢ - ٣٣ (٢) الصف : ٨ - ٩

(٣) النور : ٤٠ . (٤) إشعياء ٦ : ١ - ٣

• الرسالات السماوية :

- التحريف الهادف فى الديانة اليهودية والديانة النصرانية .

- إبراهيم وحفيده محمد يطهران البيت لقول الله سبحانه :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ، إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ، إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ، إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

فاستجاب له الله فقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) .

واقرأ وتدبر قوله سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣) .

* *

٧ - يتنبأ إشعياء عن شعائر الحج بتفاصيلها وعن الهَدْى الذى يُقَدَّم فى منى بعد الوقوف بعرفات فيقول :

- « ارفعى عينيكِ حواليكِ وانظرى قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك . يأتى بنوك من بعيد وتُحمل بناتك على الأيدى . حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع . لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتى إليكِ غنى الأمم . تغطيكِ كثرة الجمال . بكران مديان وعيفة كلها تأتى من شبا . تحمل ذهباً ولباناً وتبشر

---

(١) البقرة : ١٢٧ - ١٢٩ (٢) آل عمران : ١٦٤ (٣) الجمعة : ٢

بتسابيح الرب . كل غنم قيدار تجتمع إليك . كباش نبايوت تخدمك . تصعد مقبولة على مذبحى وأزين بيت جمالى » [1] .

التفسير والشرح

* « لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتى إليك غنى الأمم » ..

يفسر هذا القرآن الكريم فى دعاء إبراهيم لابنه إسماعيل إذ يقول الله سبحانه : ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [2] .

* « تغطيك كثرة الجمال . بكران مديان وعيفة » ..

يفسر هذا التوراة حيث تذكر أن إبراهيم تزوج بامرأة ثالثة هى قطورة وأنجب منها نسلاً منه : مديان وعيفة : « وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة . فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا .. وولد يقشان شبا وددان . وكان بنو ددان أشوريم ولطوشيم ولأميم . وبنو مديان عيفة وعفر وحنوك وأبيداع وألدعة . جميع هؤلاء بنو قطورة » [3] .

وعلى هذا فقد تفرع من إبراهيم عليه السلام شعوب ثلاثة عمروا الأرض وهم العرب وهؤلاء هم سلالة إسماعيل من أمهم المصرية هاجر ، والعبرانيون وهؤلاء هم سلالة إسحاق من أمهم العراقية سارة ، والأتراك وهم سلالة أمهم قطورة : مديان وإخوته .

* « كل غنم قيدار تجتمع إليك . كباش نبايوت تخدمك » ..

يفسر ذلك التوراة إذ تبين أن إسماعيل هو دعوة أبيه إبراهيم إذ قال إبراهيم : « وقال إبراهيم لله : ليت إسماعيل يعيش أمامك » [4] .

---

(1) إشعياء ٦٠ : ٤ - ٧
(2) إبراهيم : ٣٧
(3) التكوين ٢٥ : ١ - ٤
(4) التكوين ١٧ : ١٨

فيستجيب الله لدعائه فيقول : « وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً . اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة » [١] .

وصدق الله وعده وأعطى إسماعيل اثنى عشر رئيساً : « وهذه مواليد إسماعيل بن إبراهيم الذى ولدته هاجر المصرية جارية [٢] سارة لإبراهيم . وهذه أسماء بنى إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم . نبايوت بكر إسماعيل وقيدار وأدبيل ومبسام . ومشماع ودرمة ومسا . وحدار وتيما ويطور ونافيش وقدمة . هؤلاء هم بنو إسماعيل وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم . اثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم » [٣] .

و « قيدار » هو الجد الأعلى لسيدنا محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ .

*** « تصعد مقبولة على مذبحى وأزين بيت جمالى » ..**

يفسر هذا القرآن الكريم لقوله الله سبحانه : ﴿ وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ من كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ، فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ البَائِسَ الفَقِيرَ ﴾ [٤] .

وقوله تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ، كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ، وَبَشِّرِ المُحْسِنِينَ ﴾ [٥] .

* * *

---

(١) التكوين ١٧ : ٢٠ .

(٢) المراد بالجارية الوصيفة وهذا ينفى عنها العبودية فهى لم تكن على الإطلاق ولن تكون أمَة ، بل هى أميرة مصرية أهديت لإبراهيم (تكوين ١٢ : ١٠ - ٢٠) .

(٣) التكوين ٢٥ : ١٢ - ١٦ (٤) الحج : ٢٧ - ٢٨ (٥) الحج : ٣٧

الفصل الخامس

انتزاع النبوة والكتاب والملك
من ذرية إسرائيل

• النزاع العربى الإسرائيلى :

وعد الله إبراهيم بأرض الميعاد وكان تعالى قد أتى إبراهيمَ رشده من قبل ، وكان عالماً ببره وإيمانه حينما دعاه قائلاً : « وقال الرب لأبرام : اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك . فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة . وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض . فذهب أبرام كما قال له الرب » [١] .

• الميثاق :

وأخذ الله على نفسه عهداً بتوريث إبراهيم الأرض ونسله من بعده :

- « فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات » [٢] .

تماماً كما وعد الله الذين آمنوا : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ، يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً ، وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٣] .

---

(١) التكوين ١٢ : ١ - ٤ (٢) التكوين ١٥ : ١٨ (٣) النور : ٥٥

وقال اللّه سبحانه لبنى إسرائيل : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُواْ بِاللَّهِ وَاصْبِرُواْ ، إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الحُسْنَى عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ، وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾ (٢) .

والقرآن الكريم وحده هو المعيار الحقيقى لإظهار الحقيقة لقوله سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ، فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ، وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ ، لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ ، فَاسْتَبِقُواْ الخَيْرَاتِ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٣) .

بهذا المعيار الحقيقى سيتيسر لنا كشف الحقيقة من الزيف ، جاء فى التوراة بشأن الأرض وبشأن توريثها ما يتطابق مع القرآن الكريم .

- « والأرض لا تباع بتة . لأن لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندى » (٤) .

- « فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر أمامك ناراً آكلة . هو يبيدهم ويذلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعاً كما كلمك الرب . لا تقل فى قلبك حين ينفيهم الرب إلهك من أمامك قائلاً : لأجل برى أدخلنى الرب لأمتلك هذه الأرض . ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك . ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب

---

(١) الأعراف : ١٢٨
(٢) الأعراف : ١٣٧
(٣) المائدة : ٤٨
(٤) اللاويون ٢٥ : ٢٣

إلهك من أمامك ولكن يفى بالكلام الذى أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب فاعلم أنه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة » [1] .

ومن ثَمَّ كانت الوصية بالوعد بتوريث الأرض مشمولة بالوعيد إذا انقلبوا :

- « فتحفظون جميع فرائضى وجميع أحكامى وتعملونها لكى لا تقذفكم الأرض التى أنا آت بكم إليها لتسكنوا فيها . ولا تسلكون فى رسوم الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم . لأنهم قد فعلوا كل هذه فكرهتهم . وقلت لكم ترثون أنتم أرضهم وأنا أعطيكم إياها لترثوها أرضاً تفيض لبناً وعسلاً . أنا الرب إلهكم الذى ميَّزكم من الشعوب » [2] .

- « ولئلا تقول فى قلبك قوتى وقدرة يدى اصطنعت لى هذه الثروة . بل اذكر الرب إلهك أنه هو الذى يعطيك قوة لاصطناع الثروة لكى يفى بعهده الذى أقسم لآبائك كما فى هذا اليوم . وإن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها أشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لا محالة . كالشعوب الذين يبيدهم الرب من أمامكم كذلك تبيدون لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم » [3] .

وبهذا المعيار الحقيقى ألا وهو القرآن الكريم سينكشف الزيف والدخيل على كلام الله من ذلك الوعد بإبادة شعوب كنعان - وهو الابن الرابع لحام - وهؤلاء لم يقترفوا ذنباً ما وإنما لتأكيد لعنة نوح لحفيده كنعان :

- « فقال : ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لإخوته . وقال : مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم » [4] .

---

(١) التثنية ٩ : ٣ - ٦

(٢) اللاويون ٢٠ : ٢٢ - ٢٤

(٣) التثنية ٨ : ١٧ - ٢٠ .

(٤) التكوين ٩ : ٢٥ ، ٢٦

ويذكر سفر التكوين نسل حام فيقول :

- « وبنو حام : كوش ومصرايم وفوط وكنعان » [1] .

- « وكنعان ولد صيدون بكره وحثا واليبوسي والأموري والجرجاشي والحوي والعرقي والسيني . والأزوادي والصماري والحماني . وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجئ نحو جزر إلى غزة وحينما تجئ نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم إلى لاشع » [2] .

ومن الزيف أن دس أحبار اليهود شعوب كنعان لاستئصالها في الميثاق أي الوعد بتوريث أرض الميعاد : « القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين والفرزيين والرفائيين والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين » [3] .

ومن الزيف أن الشريعة تحض على إبسالهم : « وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما . بل تحرمها تحريماً : الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك . لكي لا يعلّموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم التي عملوا لآلهتهم فتخطئوا إلى الرب إلهكم » [4] .

ومن دلائل هذا الزيف أن هذه الشعوب ظلت في مساكنها في أراضيها وسكن بنو إسرائيل في وسطهم : « فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين الحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساءً وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم . فعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب وعبدوا البعليم والسواري » [5] .

---

(١) التكوين ١٠ : ٦
(٢) التكوين ١٠ : ١٥ - ١٩
(٣) التكوين ١٥ : ١٩ ، ٢٠ .
(٤) التثنية ٢٠ : ١٦ - ١٨
(٥) القضاة ٣ : ٥ - ٧

● **حقائق تاريخية وجغرافية :**

١ - كان بنو إسرائيل عبيداً للمصريين الفراعنة - ٤٣٠ سنة - حتى عام ١٤٩١ ق . م [١] .

٢ - ولملك آرام النهرين - ٨ سنوات - (١٤٣٥ - ١٤٢٧ ق . م) [٢] .

٣ - ولملك موآب - ١٨ سنة - (١٣٨٧ - ١٣٦٩ ق . م) [٣] .

٤ - ولملك كنعان - ٢٠ سنة - (١٢٨٩ - ١٢٦٩ ق . م) [٤] .

٥ - وللمديانيين - ٧ سنوات - (١٢٢٩ - ١٢٢٢ ق . م) [٥] .

٦ - وللعمونيين - ١٨ سنة - (١١٣٤ - ١١١٦ ق . م) [٦] .

٧ - وللفلسطينيين - ٤٠ سنة - (١١٣٤ - ١٠٩٤ ق . م) [٧] .

٨ - سبى مملكة إسرائيل إلى آشور (٧٢١ ق . م - إلى الأبد) [٨] .

٩ - سبى مملكة يهوذا إلى بابل - ٧٠ سنة - (٥٨٦ - ٥٣٦ ق . م) [٩] .

* * *

---

(١) الخروج ٢ : ٢٣ - ٢٥ ، ١٢ : ٤٠ - ٤٢

(٢) القضاة ٣ : ٥ - ٨

(٣) القضاة ٣ : ١٢ - ١٤

(٤) القضاة ٤ : ١ - ٢

(٥) القضاة ٦ : ١ - ٦

(٦) القضاة ١٠ : ٦ - ٩

(٧) القضاة ١٣ : ١

(٨) الملوك الثانى ١٧ : ١ - ٢٠ .

(٩) أخبار الأيام ثان ٣٦ : ١٤ - ٢٠ .

بنو إسرائيل بين التوحيد والتعدد

« فذهب سليمان وراء عشتورت إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن . فغضب الرب على سليمان » [1] .

● أهداف بنو إسرائيل من الزيف :

إن للشرور فى السلوك اليهودى جذوراً عقائدية ، فالتوراة بوضعها الحالى تفسح المجال واسعاً أمامهم « كشعب الله المختار » : « لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك . إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض » [2] . لكى ينهبوا ويسرقوا : « فقد سلب الله مواشى أبيكما وأعطانى » [3] . ويقتلوا الشعوب الأخرى : « وحرّموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » [4] . وباعتبارهم ملوك المال فهم يقرضون الشعوب بالربا : « فتقرض أمماً كثيرة وأنت لا تقترض . وتتسلط على أمم كثيرة وهم عليك لا يتسلطون »[5] . ولا يمكن فهم الشخصية الإسرائيلية إلا من خلال دراسة الديانة اليهودية .

وفى هذا الفصل دراسة نبين فيها تاريخ التوراة وغاياتها بشكل علمى موضوعى وهى تمثل وجهة نظر عالِم لاهوتى مسيحى سابق (القس إبراهيم خليل فيلبس - راعى الكنيسة الإنجيلية المشيخية وأستاذ العقائد واللاهوت

---

(١) الملوك الأول ١١ : ٦ - ٩
(٢) التثنية ٧ : ٦
(٣) التكوين ٣١ : ٩
(٤) يشوع ٦ : ٢١
(٥) التثنية ١٥ : ٦

بكلية اللاهوت بأسيوط) مما يحتم على البَشرية جمعاء إعادة النظر فى موقفها من بنى إسرائيل .

ومن الزيف البيِّن أهدافهم فى إسقاط حق إسماعيل فى ميراثه لأبيه إبراهيم لأنه ابن هاجر جارية سارة مع أن الشريعة تحفظ وتصون حق الابن البكر إذ تقول :

« إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة . فإن كان الابن البكر للمكروهة . فيوم يقسِّم لبنيه ما كان له لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر . بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية » (١) .

لقد نسى بنو إسرائيل أو تناسوا أن من إخوتهم أبناء بلهة جارية راحيل وأبناء زلفة جارية ليئة ومع هذا فيوم تقسيم الأرض تساوى الجميع فى القسمة :

« وكان بنو يعقوب اثنى عشر . بنو ليئة : رأوبين بكر يعقوب وشمعون ولاوى ويهوذا ويساكر وزبولون ، وابنا راحيل : يوسف وبنيامين . وابنا بلهة جارية راحيل : دان ونفتالى ، وابنا زلفة جارية ليئة : جاد وأشير . هؤلاء بنو يعقوب الذى ولدوا له فى فدان أرام » (العراق) (٢) .

- « ثم كلم الرب موسى قائلاً : لهؤلاء تقسم الأرض نصيباً على عدد الأسماء . الكثير تُكثِّر له نصيبه والقليل تُقلِّل له نصيبه . كل واحد حسب المعدودين منه يعطى نصيبه . إنما بالقرعة تُقسَّم الأرض . حسب أسماء أسباط آبائهم يملكون . حسب القرعة يُقسَّم نصيبهم بين كثير وقليل » (٣) العدالة والمساواة بين الإخوة لا تمييز بين أبناء ليئة أو راحيل أو جاريتهما بلهة أو زلفة ،

---

(١) التثنية ٢١ : ١٥ - ١٧

(٢) التكوين ٣٥ : ٢٣ - ٢٦

(٣) العدد ٢٦ : ٥٢ - ٥٦

وهنا تفتق الذهن الإسرائيلى إلى طرد إسماعيل إذ قالت سارة لإبراهيم : « اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق » (١) .

فيغضب إبراهيم فيعزيه الله بقوله : « وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك » (٢) .

وتبكى هاجر فيعزيها ملاك الله بقوله : « وقال لها (ملاك الله) : مالك يا هاجر . لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشدى يدك به . لأنى سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء (٣) . فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام فكبر . وسكن فى البرية وكان ينمو رامى قوس . وسكن فى برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » (٤) .

قالت سارة لإبراهيم : « اطرد هذه الجارية وابنها . لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق » (٥) .

فماذا يقول الله سبحانه ؟ هنا يتجلى القرآن الكريم ليكشف إرادة الله فيمن يرث الأرض فيقول سبحانه : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ، قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً ، قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ، قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ * وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً ، وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ، وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (٦) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٧) .

* * *

(١) التكوين ٢١ : ١٠ — (٢) التكوين ٢١ : ١٣

(٣) من دلائل الخير والبركة أن انبثقت بئر زمزم قرب الكعبة المشرفة .

(٤) التكوين ٢١ : ١٧ – ٢١ — (٥) التكوين ٢١ : ١٠

(٦) البقرة : ١٢٤ – ١٢٥ — (٧) الأنبياء : ١٠٥

فبماذا تنبأ الزبور [١] ؟

- « الحجر الذى رفضه البنّاؤون قد صار رأس الزاوية . من قِبَلِ الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا » [٢] .

ظلت هذه النبوءة دون أن يمسسها تحريف على الإطلاق بدليل استشهاد بطرس بها للتدليل على حقيقة شخصية يسوع المسيح قائلاً : « فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصرى الذى صلبتموه أنتم الذى أقامه الله من الأموات . بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً . هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيها البنّاؤون الذى صار رأس الزاوية . وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » [٣]

إنه استدلال من مزمور (١١٨ : ٢٢ - ٢٣) : « الحجر الذى رفضه البنّاؤون قد صار رأس الزاوية من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا » .

ومن إشعياء : « أخبروا قدموا وليتشاوروا معاً ، مَن أعلم بهذه منذ القديم ، أخبر بها منذ زمان ، أليس أنا الرب ولا إله آخر غيرى ، إله بار ومخلص ، ليس سواى . التفتوا إلىّ وأخلصوا يا جميع أقاصى الأرض لأنى أنا الله وليس آخر » [٤] .

---

(١) ينقسم العهد القديم إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهى :
١ - التوراة : وهى الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة إلى موسى ويطلق عليها أيضاً « البنتاتوك » « ناموس موسى » .
٢ - الكتب : وتنقسم إلى الكتب التاريخية والكتب الشعرية ، والزبور من الكتب الشعرية .
٣ - الأنبياء : وينقسم إلى الأنبياء الكبار والأنبياء الصغار .

(٢) مزمور ١١٨ : ٢٢ - ٢٣

(٣) أعمال الرسل ٤ : ١٠ - ١٢

(٤) إشعياء ٤٥ : ٢١ - ٢٢

ومع هذا فهو استدلال متهافت وقد دمغ يسوع المسيح فقهاء الشريعة من الصدوقيين قائلاً : « فأجاب يسوع وقال لهم : تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة اللّه » (١) .

ودمغ حوارييه بالجهل والغباء فحين حدّثهم عن قدره : « وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئاً وكان الأمر مخفى عنهم ولم يعلموا ما قيل » (٢) .

فما بال الحواريين وقد استشهد يسوع ذاته بهذا النص :

- « قال لهم يسوع أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البنّاؤون هو قد صار رأس الزاوية من قِبَلِ الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا . لذلك أقول لكم : إن ملكوت اللّه يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره . ومَن سقط على هذا الحجر يترضض ومَن سقط هو عليه يسحقه » (٣) .

معانى الألفاظ

إن كتاب العهد القديم يتضمن الكثير من الرموز والأحاجى ، ومن هذه الرموز :

١ - الحجر : وهو رمز للنبى والرسول والمسيح ورجل اللّه .

٢ - البنّاؤون : وهو رمز لشعب اللّه من بنى إسرائيل .

● **التفسير والشرح :**

لعل الأمر من الوضوح اليقينى أن المراد بالحجر المرفوض هو إسماعيل بن إبراهيم شقيق إسحاق عليهم صلوات اللّه وسلامه لقول سارة : « اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق » (٤) .

---

(١) متى ٢٢ : ٢٩
(٢) لوقا ١٨ : ٣٤
(٣) متى ٢١ : ٤٢ - ٤٤
(٤) التكوين ٢١ : ١٠ .

واستخدم « بولس » هذه النعرة العنصرية مستشهداً بها قائلاً : « لكن ماذا يقول الكتاب . اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة . إذن أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرة » [١] .

وقال سيدنا محمد رسول الله وخاتم النبيين الذى قال ربه عنه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [٢] :

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلى ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه ترك منه موضع لبنة . فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة . فكنت أنا سددت موضع اللبنة ، خُتِم بى البنيان وخُتِم بى الرسل » .. وفى رواية : « فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » [٣] .

* * *

ويزول الملك من بنى إسرائيل جزئياً بسبى مملكة إسرائيل إلى آشور عام ٧٢١ ق . م . ومن بعدهم مملكة يهوذا يزول الملك منها بالسبى إلى بابل عام ٥٨٦ ق . م . وتخضع فلسطين منذئذ للغزاة .

وفى السبى حلم نبوخذ نصرملك بابل حلماً استعصى على الحكماء والمجوس والسحرة معرفته ، أما لدانيال - وهو نبى من بنى السبى - فقد كشف الله له بالحلم ، وألهمه تعبيره اقرأ بتدبر : (دانيال ٢ : ١ - ٤٥) [٤] وقابل بينه

---

(١) غلاطية ٤ : ٣٠ ، ٣١ (٢) النجم : ٣ - ٥

(٣) متفق عليه ، والحديث فى مشكاة المصابيح للتبريزى جـ ٣ ص ١٠٦١ ، رقم (٥٧٤٥) .

(٤) قال دانيال للملك نبوخذ نصر : « أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم . هذا التمثال العظيم البهى جداً وقف قبالتك ومنظره هائل . ورأس هذا التمثال من ذهب جيد . صدره وذراعاه من فضة . بطنه وفخذاه من نحاس . ساقاه من حديد . قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف . كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما . فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً ، وصارت كعصافة =

= البيدر فى الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان . أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها . هذا هو الحلم . فنخبر بتعبيره قدام الملك : أنت أيها الملك ملك الملوك ، لأن إله السموات أعطاك مملكة واقتداراً وفخراً . وحيثما يسكن بنو البَشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك وسلّطك عليها جميعاً . فأنت هذا الرأس من ذهب . وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض . وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شئ ، وكالحديد الذى يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء . وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد ، فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث أنك رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين . وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف ، فبعض المملكة يكون قوياً والبعض قصماً . وبما رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين فإنهم يختلطون بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك كما أن الحديد لا يختلط بالخزف . وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً ، وملكها لا يترك لشعب آخر ، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد . لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب . الله العظيم قد عرّف الملك ما سيأتى بعد . هذا الحلم حق وتعبيره يقين » (دانيال ٢ : ٣١ - ٤٥) .

وعلى هذا فإن تعبير الحلم :

١ - الرأس من ذهب : المملكة البابلية .

٢ - الصدر والذراعان من فضة : المملكة الفارسية .

٣ - البطن والفخذان من نحاس : المملكة المقدونية .

٤ - الساقان من حديد : الإمبراطورية الرومانية .

٥ - القدمان بعضهما من حديد والبعض من خزف : الدولة البيزنطية فى الشرق ، والدولة الرومانية فى الغرب .

٦ - الحجر الذى قطع بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما : الأمة الإسلامية : ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٩٢) .

(١) حلم فرعون : « ... فرعون رأى حلماً ، وإذا هو واقف عند النهر ، وهو ذا سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المظهر وسمينة اللحم . فأرتعت فى روضة . ثم هو ذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها من النهر قبيحة المنظر ورقيقة اللحم . فوقفت بجانب البقرات الأولى على شاطئ النهر فأكلت البقرات القبيحة المنظر والرقيقة اللحم البقرات السبعة الحسنة المنظر والسمينة . واستيقظ =

(تكوين ٤١ : ١٤ - ٤٤) [١] . هل هى مصادفة الرواية أم خيال إسرائيل بأن يكون هو الشعب الوحيد مختار الله ؟ على أية حال يختتم دانيال تعبيره للحلم قائلاً :

- « وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب . الله العظيم قد عرّف الملك ما سيأتى بعد هذا . الحلم حق وتعبيره يقين » [٢] .

= فرعون ، ثم نام فحلم ثانية . وهو ذا سبع سنابل طالعة فى ساق واحدة سمينة وحسنة . ثم هو ذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها . فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السمينة الممتلئة . واستيقظ فرعون وإذا هم حلم . وكان فى الصباح أن نفسه انزعجت . فأرسل ودعا جميع سحرة مصر وجميع حكمائها وقص عليهم فرعون حلمه . فلم يكن من يعبره لفرعون » .

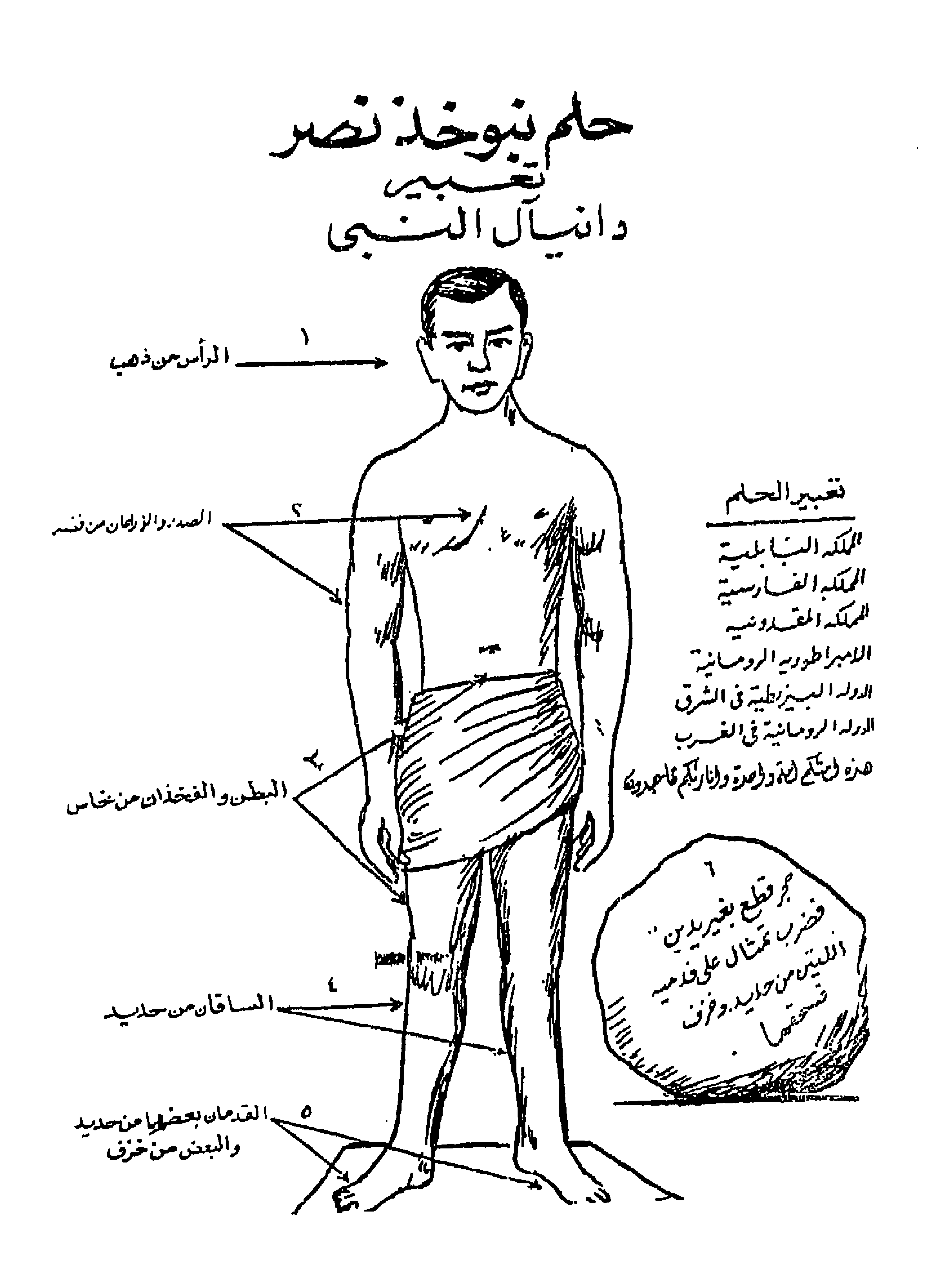
(سفر التكوين ٤١ : ١ - ٨)

(١) قال يوسف فى تفسيره لحلم فرعون : « حلم فرعون واحد . قد أخبر الله فرعون بما هو صانع : البقرات السبع الحسنة هى سبع سنين . والسنابل السبع الحسنة هى سبع سنين ، وهو حلم واحد . والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التى طلعت وراءها هى سبع سنين ، والسنابل السبع الفارغة الملفوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعاً . هو الأمر الذى كلمت به فرعون . وقد أظهر الله لفرعون ما هو صانع . هو ذا سبع سنين قادمة شبعاً عظيماً فى كل أرض مصر . ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً . فينسى كل الشبع فى أرض مصر ويتلف الجوع الأرض . ولا يعرف الشبع فى الأرض ومن أجل ذلك الجوع بعده ، لأنه يكون شديداً جداً . وأما عن تكرار الحلم على فرعون مرتين فلأن الأمر مقرر من قِبَلِ الله ، والله مسرع بصنعه » (سفر التكوين ٤١ : ٢٥ - ٣٣) .

ويقص علينا القرآن الكريم هذه الرؤيا وتأويلها فى أسلوب بليغ معجز .. يقول الله تعالى :

- ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّى أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ، يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِى فِى رُؤْيَاىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ * قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ * وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّى أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (يوسف : ٤٣ - ٤٩) .

(٢) دانيال ٢ : ٤٤ ، ٤٥


حلم نبوخذ نصر
تعبير
دانيال النبي
١
الرأس من ذهب
٢
الصدر والزراعان من فضة
٣
البطن والفخذان من نحاس
٤
الساقان من حديد
٥
القدمان بعضها من حديد
والبعض من خزف
تعبير الحلم
المملكه البابلية
المملكه الفارسية
المملكه المقدونيه
الامبراطوريه الرومانية
الدوله البيزنطية في الشرق
الدولة الرومانية في الغرب
هذه الممالك أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون
٦
حجر قطع بغير يدين
فضرب تمثال على قدميه
اللتين من حديد وخزف
فسحقهما

فلسطين تخضع لحكم الغزاة

أولا - انقسام مملكة سليمان :

١ - مملكة إسرائيل فى الشمال (من عام ٩٧٥ - إلى عام ٧٢١ ق . م) .

٢ - مملكة يهوذا فى الجنوب (من عام ٩٧٥ - إلى عام ٥٨٦ ق . م) .

ثانيا - فلسطين ولاية تخضع للغزاة :

الدولة الغازية	من	إلى (قبل الميلاد)
١ - الدولة البابلية .	٥٨٦	٥٣٦ ق . م
٢ - الدولة الفارسية .	٥٣٦	٣٣. ق . م
٣ - الدولة المقدونية .	٣٣.	٣٢٣ ق . م
٤ - البطالسة (مصر) .	٣٢٣	٢.٣ ق . م
٥ - السلوقيون (سوريا) .	٢.٣	١٦٦ ق . م
٦ - المكابيون اليهود .	١٦٦	٤. ق . م
٧ - الإمبراطورية الرومانية .	٤. ق . م	٦٣٣ م
٨ - تحرير فلسطين والحكم العربى .	٦٣٣ م	١٩٤٨ م

وفى والصفحة السابقة (رقم ٨.) رسم بيانى لحلم نبوخذ نصر وتعبيره بمعرفة دانيال النبى من بنى يهوذا المسبيين .

* * *

ويسجل القرآن الكريم هذه الوقائع فى سور ثلاث حسب الترتيب التوقيفى : سورة البقرة ، فالإسراء ، فالجاثية - فى قول الله جلّت حكمته :

﴿ سَلْ بَنِي إسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ، وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ (١) .

وقوله سبحانه من سورة الإسراء : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ ، وَإِنْ أَسَأْتُم فَلَهَا ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُاْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً * عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ، وَإِنْ عُدتُّم عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً * إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ (٢) .

وقوله سبحانه من سورة الجاثية : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إسْرَائِيلَ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى العَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ ، فَمَا اخْتَلَفُواْ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

* * *

ويشهد الكتاب المقدس - بعهديه القديم والجديد - بوقائع وأحداث أثارت غضب الله على بني إسرائيل بدءاً بعبادة العجل عندما خرج موسى ببني إسرائيل من مصر ، إلى الاستهانة بكلام الله وتحريف كتاب الله إلى السفاهات التي اقترفوها يلخصها يسوع المسيح بقوله :

---

(١) البقرة : ٢١١ (٢) الإسراء : ٤ - ٩ (٣) الجاثية : ١٦ - ١٨

- « أيها الحيَّات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم . لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة . لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصدِّيق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح ، الحق أقول لكم : إن هذا كله يأتى على هذا الجيل . يا أورشليم يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ، إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ، هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً » [1] .

ولقد تحققت نبوءة يسوع إذ زحف الإمبراطور الرومانى « تيطس » على أورشليم ودمر بيت الله وقتل الكثير من اليهود ونفى الباقين عن أورشليم .

إن تصريحات يسوع سجلها القرآن الكريم بقوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ [2] .

* * *

أولاً - تحريف كلام الله .

ثانياً - سفاهاتهم على أنبياء الله ورسله .

ثالثاً - الفساد الذى استشرى بين بنى إسرائيل .

أولا - تحريف كلام الله

ا - تصريحات موسى عليه السلام :

« ... خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم . لأنى أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة . هو ذا وأنا بعد

---

(١) متى ٢٣ : ٣٣ - ٣٨

(٢) البقرة : ٨٧

حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى . اجمعوا إلىَّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض . لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم » [١] .

٢ - تصريحات إيليا النبى :

« وكان كلام الرب إليه يقول : ما لك ههنا يا إيليا . فقال : قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيتُ أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها » [٢] .

٣ - تصريحات إشعياء النبى :

« ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم فى الظلمة ويقولون : مَن يبصرنا ومَن يعرفنا ؟ يا لتحريفكم » [٣] .

٤ - تصريحات إرميا النبى :

- « وبنوا مرتفعات للبعل ليحرقوا أولادهم بالنار محرقات للبعل الذى لم أوص به ولا صعد على قلبى » [٤] .

- « حتى متى يوجد فى قلب الأنبياء المتنبئين بالكذب بل هم أنبياء خداع قلبهم ، الذين يفكرون أن ينسوا شعبى اسمى بأحلامهم التى يقصونها الرجل على صاحبه كما نسى آباؤهم اسمى لأجل البعل ، النبى الذى معه حلم فليقص حلماً والذى معه كلمتى فليتكلم بكلمتى بالحق . ما للتبن مع الحنطة يقول الرب . أليست هكذا كلمتى كنار يقول الرب وكمطرقة تحطم الصخر » [٥] .

---

(١) التثنية ٣١ : ٢٤ - ٢٩
(٢) الملوك الأول ١٩ : ٩ ، ١٠
(٣) إشعياء ٢٩ : ١٥ ، ١٦
(٤) إرمياء ١٩ : ٥
(٥) إرمياء ٢٣ : ٢٦ - ٢٩

- « فلا تسمعوا لكلام الأنبياء والذين يكلمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل لأنهم إنما يتنبأون لكم بالكذب لأنى لم أرسلهم يقول الرب بل هم يتنبأون باسمى بالكذب لكى أطردكم فتهلكوا أنتم والأنبياء الذين يتنبأون لكم » [١] .

* * *

ثانيا : سفاهات بنى إسرائيل وإفتراءاتهم

١ - إبراهيم عليه السلام :

فى هجرته إلى مصر [٢] ، وهجرته إلى فلسطين (جرار) [٣] . « قال إبراهيم عن سارة امرأته هى أختى ، فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة ، فجاء اللّه إلى أبيمالك فى حلم الليل وقال له : ها أنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها فإنها متزوجة ببعل » [٤] .

والهدف من هذه السفاهة : « فأخذ أبيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماءً وأعطاها لإبراهيم ورد إليه سارة امرأته » [٥] .

٢ - يهوذا يزنى بكنته ثامار وينجب منها فارص الجد الأعلى ليسوع :

القصة وردت فى سِفر التكوين الإصحاح الثامن والثلاثين وبرأت ثامار نفسها من الزنا بقولها : « أما هى فلما أخرجت أرسلت إلى حميها قائلة : من الرجل الذى هذه له أنا حبلى . وقالت : حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه . فتحققها يهوذا وقال : هى أبر منى لأنى لم أعطها لشيلة إبنى » [٦] .

---

(١) إرمياء ٢٧ : ١٤ ، ١٥

(٢) التكوين ١٢ : ١٠ - ٢٠

(٣) التكوين ٢٠ : ١ - ١٤

(٤) التكوين ٢٠ : ٢ ، ٣

(٥) التكوين ٢٠ : ١٤

(٦) التكوين ٣٨ : ٢٥ ، ٢٦

وتنص الشريعة : « إذا سكن إخوة معاً ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصر امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبى ، أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ... » [١] .

وهذه شريعة الحثيين أصلاً التى تقضى بأنه إذا لم يكن للميت أخ فإن أباه يتخذها امرأة ليقيم نسلاً .

٣ - داود يزنى ببتشبع امرأة أوريا الحثى ثم يوصى بقتل أوريا ويضم بتشبع لتصير امرأة له وينجب منها سليمان :

القصة وردت فى سفر صموئيل الثانى الإصحاح الحادى عشر « ثم أرسل الله ناثان النبى إلى داود ليبكته على خطيئته » [٢] .

وجاء مقابلة هذه القصة مع القرآن الكريم من سورة « ص » : ﴿ وَهَلْ آتَاكَ نَبَؤُاْ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ المِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ، قَالُواْ لاَ تَخَفْ ، خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى الخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ، وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ الخُلَطَاءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ، وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ، وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [٣] .

« وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً . فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد : أليست هذه بتشبع بنت اليعام امرأة أوريا

---

(١) التثنية ٢٥ : ٥ (٢) صموئيل الثانى ١٢ : ١ - ٦

(٣) سورة ص : ٢١ - ٢٥

الحثى . فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها . ثم رجعت إلى بيتها . وحبلت المرأة » [1] .

٤ - سليمان يعشق النساء وقد بلغ عددهن ألف امرأة :

القصة وردت فى سِفر الملوك الأول [2] .

« وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه » [3] .

أما الهدف من هذه السفاهات فهو كما يقول بولس : « الجميع زاغوا وفسدوا معاً . ليس مَن يعمل صلاحاً ليس ولا واحد » [4] .

* * *

ثالثا : الفساد الذى استشرى بين بنى إسرائيل

يكشف القرآن الكريم وقائع تاريخية وجغرافية حدثت لبنى إسرائيل بعد أن ازدهر عصرهم فى زمان سليمان الملك الذى امتد ملكه « من النهر إلى أرض فلسطين والى تخوم مصر » [5] ، وامتد صيته إلى اليمن فجاءته ملكة اليمن « وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل . فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً » [6] .

يكشف القرآن الكريم وقائع تاريخية وجغرافية على إثر انقسام هذه المملكة بعد وفاة سليمان عام ٩٧٥ ق . م إلى مملكتين فيقول اللّٰه تعالى :

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ فِى الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُواً كَبِيراً ﴾ [7] .

---

(١) صموئيل الثانى ١١ : ٢ - ٥
(٢) الملوك الأول ١١ : ١ - ١٣
(٣) الملوك الأول ١٠ : ١ ، ٢
(٤) رومية ٣ : ١٢
(٥) الملوك ٤ : ٢١
(٦) الملوك الأول ١٠ : ١ ، ٢
(٧) الإسراء : ٤

تراءى الله لسليمان فى جبعون فى حلم ليلاً : « وقال الله : اسأل ماذا أعطيك فقال سليمان .... فأعط عبدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر لأنه مَن يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا . فحسن الكلام فى عينى الرب » [١] .

وتجلت حكمة سليمان فى قضية المرأتين الزانيتين وابنهما الحى [٢] .

« ولما سمع جميع إسرائيل بالحكم الذى حكم به الملك خافوا الملك لأنهم رأوا حكمة الله فيه لإجراء الحكم » [٣] .

« وشرع سليمان فى بناء بيت الرب فى أورشليم فى جبل المريا حيث تراءى لداود أبيه حيث هيأ داود مكاناً فى بيدر أرنان اليبوسى . وشرع فى البناء فى ثانى الشهر الثانى فى السنة الرابعة لملكه » [٤] .

« فى السنة الرابعة أسس بيت الرب فى شهر زيو . وفى السنة الحادية عشرة فى شهر بول - وهو الشهر الثامن - أكمل البيت فى جميع أموره وأحكامه . فبناه فى سبع سنين » [٥] .

من عام ١٠١٢ - إلى ١٠٠٦ ق . م

• تدشين الهيكل :

« وأصعدوا تابوت الرب وخيمة الاجتماع مع جميع آنية القدس التى فى الخيمة فأصعدها الكهنة واللاويين . والملك سليمان وكل جماعة إسرائيل المجتمعين إليه معه أمام التابوت كانوا يذبحون من الغنم والبقر ما لا يحصى ولا يعد من الكثرة وأدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه فى محراب

---

(١) الملوك الأول ٣ : ٥ - ١٠ .

(٢) الملوك الأول ٣ : ١٦ - ٢٧

(٣) الملوك الأول ٣ : ٢٨

(٤) أخبار الأيام الثانى ٣ : ١ ، ٢

(٥) الملوك الأول ٥ : ٣٧ ، ٣٨

البيت فى قدس الأقداس ... لم يكن فى التابوت [1] إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر » [2] .

وعمل سليمان على تقوية مركزه بحسن العلاقات مع جيرانه « وأرسل حيرام ملك صور عبيده إلى سليمان لأنه سمع أنهم مسحوه ملكاً مكان أبيه لأن حيرام كان محباً لداود كل الأيام » [3] .

أما سليمان ذاته « وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها إلى مدينة داود إلى أن أكمل بناء بيته وبيت الرب وسور أورشليم حواليها إلا أن الشعب كانوا يذبحون فى المرتفعات لأنه لم يبن بيت لاسم الرب إلى تلك الأيام » [4] .

وهكذا استتب الأمر لسليمان إلا أنه قد أقحم على سيرة سليمان (الإصحاح الحادى عشر من العدد الأول إلى العدد الثالث عشر من سفر الملوك الأول) أقحم كلام سفيه !

● الوعد المشروط بالوعيد :

عند تدشين الهيكل صلى سليمان قائلاً : « لتكن عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلاً ونهاراً على الموضع الذى قلت إن اسمى يكون فيه لتسمع الصلاة التى يصليها عبدك فى هذا الموضع واسمع تضرع عبدك وشعبك إسرائيل الذين يصلون فى هذا الموضع واسمع أنت فى موضع سكناك فى السماء وإذا سررت فاغفر » [5] .

---

(١) فى مايو ١٤٩١ ق . م . نزلت الشريعة على موسى على جبل سيناء (خروج ٢٤ : ١٨) وفى مارس ١٤٩٠ ق . م . صنع موسى خيمة الاجتماع (خروج ٤٠ : ١٦ - ٣٨) .

(٢) الملوك الأول ٨ : ٤ - ٩

(٣) الملوك الأول ٥ : ١

(٤) الملوك الأول ٣ : ١ ، ٢

(٥) الملوك الأول ٨ : ٢٩ ، ٣٠ .

فاستجاب الله بوعد مشروط بوعيد : « وقال له الرب قد سمعتُ صلاتك وتضرعك الذى تضرعتَ به أمامى . قدست هذا البيت الذى بنيته لأجل وضع اسمى فيه إلى الأبد وتكون عيناى وقلبى هناك كل الأيام . وأنت إن سلكت أمامى كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامة وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضى وأحكامى . فإنى أقيم كرسى ملكك على إسرائيل إلى الأبد كما كلمت داود أباك قائلاً : لا يعدم لك رجل عن كرسى إسرائيل . إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائى ولا تحفظون وصاياى فرائضى التى جعلتها أمامكم بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها . فإنى أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التى أعطيتهم إياها والبيت الذى قدسته لاسمى أنفيه من أمامى ويكون إسرائيل مثلاً وهزأة فى جميع الشعوب . وهذا البيت يكون عبرة كل مَن يمر عليه بتعجب ويصفر ويقولون : لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت . فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذى أخرج آبائهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر » [1] .

● حيثيات انقسام المملكة :

جاء فى سِفر الملوك الأول الإصحاح الحادى عشر (من العدد الأول إلى العدد الحادى عشر) حيثيات تمزيق المملكة !

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب [2] لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه . وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه مع الرب إلهة كقلب داود أبيه .

---

(١) الملوك الأول ٩ : ٣ – ٩ (٢) التثنية ٢٣ : ١ – ٣

فذهب سليمان وراء عشتورت إلاهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن . فغضب الرب على سليمان ... فقال الرب لسليمان : من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك » (١) .

عام ٩٧٥ ق . م . عام وفاة سليمان وانقسام المملكة إلى مملكتين

● مملكة إسرائيل فى الشمال وعاصمتها السامرة من عام ٩٧٥ - ٧٢١ ق . م :

قامت هذه المملكة بزعامة يربعام يتبعه الأسباط العشرة (٢) ، وهؤلاء يقيمون التوراة السامرية فيعترفون بأسفار موسى الخمسة وسفرى يشوع والقضاة ويرفضون باقى أسفار العهد القديم .

● الفساد الأول : « وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل . وعبروا بنيهم وبناتهم فى النار وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عينى الرب لإغاظته . فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده ... فسبى إسرائيل من أرضه إلى آشور إلى هذا اليوم » (٣) .

---

(١) الملوك الأول ١١ : ١ - ١١

(٢) الملوك الأول ١٢ : ٢١ - ٣٣

(٣) الملوك الثانى ١٧ : ١٦ - ٢٣

● **مملكة يهوذا فى الجنوب وعاصمتها أورشليم من عام ٩٧٥ - ٥٨٦ ق . م :**

ملك رحبعام بن سليمان على أوشليم وهؤلاء يقيمون العهد القديم بأقسامه الثلاثة (التوراة والكتب والأنبياء) وهم سدنة الهيكل منتظرين مجئ المسيا المخلص .

● **الفساد الثانى :** « حتى إن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذى قدسه فى أوشليم . فأرسل الرب إله آبائهم إليهم عن يد رسله مبكراً ومرسلاً لأنه شفق على شعبه وعلى مسكنه . فكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه حتى لم يكن شفاء . فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم بالسيف فى بيت مقدسهم . ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا على شيخ أو أشيب بل دفع الجميع ليده . وجميع آنية بيت الله الكبيرة والصغيرة وخزائن بيت الرب وخزائن الملك ورؤسائه أتى بها جميعاً إلى بابل . وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً إلى أن ملكت مملكة فارس . لإكمال كلام الرب بفم إرميا حتى استوفت الأرض سبوتها لأنها سبتت فى كل أيام خرابها لإكمال سبعين سنة » (١) .

* * *

عودة عزرا ونحميا إلى أورشليم فى أيام كورش ملك فارس

وخضوع فلسطين للدولة الفارسية وكان ذلك فى عام ٥٣٦ ق . م .

لإعادة بناء الهيكل وإعادة تدوين التوراة

● **العلو :**

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ فِى الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُواً كَبِيراً ﴾ (٢) .

---

(١) أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ١٤ - ٢١ (٢) الإسراء : ٤

« وفي السنة الأولى لكورش ملك فارس عند تمام كلام الرب بفم إرميا نبه الرب روح كورش ملك فارس فأطلق نداء في كل مملكته وبالكتابة أيضاً قائلاً : هكذا قال كورش ملك فارس . جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا . مَن منكم من كل شعبه ليكن إلهه معه ويصعد إلى أورشليم التي في يهوذا فيبني بيت الرب إله إسرائيل . هو الإله . الذي في أوشليم . وكل مَن بقي في أحد الأماكن حيث هو متغرب فلينجده أهل مكانه بفضة وبذهب وبأمتعة وببهائم مع التبرع لبيت الرب الذي في أورشليم » [١] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِن عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ [٢] .

يفسر هذا تنبؤات يسوع عن أورشليم حيث يقول : « وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها . قائلاً : إنك لو علمت أنت أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك ولكن الآن قد أخفي عن عينيك . فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة . ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفي زمان افتقادك . ولما دخل الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه . قائلاً لهم : مكتوب أن بيتي بيت الصلاة . وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » [٣] .

ثم قال في وضوح : « ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها . حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال . والذين في وسطها فليفروا خارجاً والذين في الكور فلا يدخلوها ، لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب . وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب . ويقعون بفم السيف ويسبون إلى جميع الأمم . وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تكمل أزمنة الأمم » [٤] .

---

(١) عزرا ١ : ١ - ٤
(٢) الإسراء : ٨
(٣) لوقا ١٩ : ٤١ - ٤٦
(٤) لوقا ٢١ : ٢٠ - ٢٤

ومع الاعتراف الكامل بحقيقة أن يسوع وتلاميذه كانوا يتوقعون النهاية الوشيكة للعالم . فإن الدراسة المتأنية للعقائد اليهودية التى شاعت فى الفترة من عهد المكابيين (عام ١٦٨ ق . م) حتى مطلع القرن الأول الميلادى ، تبين أن فكرة « ملكوت الله عتيد أن يظهر فى الحال » [١] ، لم تكن خرافة تختص بالمسيحيين وحدهم لكنه التوقع العام للشعب اليهودى .

إن هذ الاعتقاد قد دفعهم للحرب مع روما عام ٦٦ م ، وهى الحرب التى انتهت بانقراض الولاية اليهودية وتدمير أورشليم عام ٧٠ ميلادية [٢] .

ثبت تاريخى

التاريخ	الوقائع والأحداث
٥٨٦ ق . م .	تدمير هيكل سليمان فى عهد نبوخذ نصر
١٣٥ ق . م .	تدمير الهيكل الذى أعاده عزرا ونحميا / مصر
٧٠ ميلادية	الإمبراطور « تيطس » يدمر الهيكل
١٣٥ ميلادية	الإمبراطور « هادريان » يطرد اليهود من أورشليم
٤٣٥ ميلادية	الإمبراطور « ثيودوسيوس » يلغى الحاخامية اليهودية
٦١٤ ميلادية	تخلت فلسطين نهائياً عن زعامة اليهود

وضاع الكيان اليهودى إلى الأبد ومن ثَمَّ فإن العصر الذهبى لإسرائيل هو عصر الملك داود والملك سليمان وهو فترة زمنية لا تتجاوز الثمانين سنة على أكثر تقدير وهذه المملكة لم يكن لها دور خفى أو ظاهر فى تاريخ فلسطين

---

(١) لوقا ١٩ : ١١

(٢) Encyclopaedia Britannica , 1960 (الموسوعة البريطانية الجزء الثانى صفحة ٥٢٣) ، البرت شفيتزر Von Reimarus Zu Werde 1906 وقد ترجم عن الألمانية إلى الإنجليزية تحت اسم : The Quest of The Historical Jesus 1910 .

كمملكة لها دور قيادى بين الممالك المعاصرة . هذا وبعد انقسام المملكة عام ٩٧٥ ق . م . إلى مملكتين كانت بينهما حروب دائرة « وكانت حرب بين رحبعام ويربعام كل أيام حياته » [١] .

* * *

• فلسطين عربية إسلامية :

وما إن ظهر محمد ﷺ رسولاً نبياً عام ٦١٠ م وما إن انتشرت الدعوة الإسلامية شرقاً فى بلاد فارس وغرباً فى الإمبراطورية الرومانية وكان التحرير الإسلامى من عبودية الفُرس شرقاً والروم غرباً وكان نصر اللّه عظيماً ودخل الناس عن عقيدة فى دين اللّه أفواجاً وذابت القبائل الفينيقية والكنعانية والفلسطينية فى بوتقة الإسلام واصطبغت هذه الشعوب بالصبغة العربية فأضحت فلسطين عربية إسلامية .

• فلسطين والغزو الصليبى والمغولى :

وتعرضت فلسطين العربية الإسلامية لغزو صليبى لمائتين من السنين حتى قيّض اللّه صلاح الدين الأيوبى فانتصر فى ملحمة اليرموك انتصاراً رائعاً على الصليبيين وأجلاهم عن البلاد .

ثم تعرّضت لغزو مغولى كاسح يستهدف فى الدرجة الأولى مصر بعد أن قتلوا الخليفة العباسى وقوّضوا الخلافة العباسية . فتصدى لهم السلطان قطز والظاهر بيبرس فانتصرا عليهم انتصاراً رائعاً بالقهر العسكرى بل أكثر من هذا نصرهم اللّه عليهم عقائدياً فدخلوا فى دين اللّه وأصبحوا بنعمته مسلمين مسالمين ، وهنا نتساءل أين دور اليهود فى هذين الحربين ؟ لا شئ على الإطلاق .

---

(١) الملوك الأول ١٥ : ٦

● **سؤال وجواب فى سطور :**

ما تفسير الوجود الإسرائيلى فى فلسطين اليوم منذ عام ١٩٤٨ ؟

القرآن الكريم يجيب :

١ - ﴿ وَقُلْنَا من بَعْده لبَنى إسْرَائيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإذَا جَاءَ وَعْدُ الآخرَة جئْنَا بكُمْ لَفيفاً * وَبالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبالْحَقِّ نَزَلَ ، وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ مُبَشِّراً وَنَذيراً ﴾ (١) .

٢ - ﴿ هُوَ الَّذى أَخْرَجَ الَّذينَ كَفَرُواْ منْ أَهْل الكتَاب من ديَارهمْ لأَوَّل الحَشْر ، مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ، وَظَنُّواْ أَنَّهُم مَّانعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّه فَأَتَاهُمُ اللَّهُ منْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسبُواْ وَقَذَفَ فى قُلُوبهمُ الرُّعْبَ ، يُخْربُونَ بُيُوتَهُم بأَيْديهمْ وَأَيْدى الْمُؤْمنينَ فَاعْتَبرُواْ يَا أُولى الأَبْصَار ﴾ (٢) .

٣ - ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّة أُخْرجَتْ للنَّاس تَأْمُرُونَ بالْمَعْرُوف وَتَنْهَوْنَ عَن الْمُنكَر وَتُؤْمنُونَ باللَّه ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكتَاب لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ ، مِّنْهُمُ الْمُؤْمنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسقُونَ * لَن يَضُرُّوكُمْ إلاَّ أَذىً ، وَإن يُقَاتلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ * ضُربَتْ عَلَيْهمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقفُواْ إلاَّ بحَبْل مِّنَ اللَّه وَحَبْل مِّنَ النَّاس وَبَاؤُوا بغَضَب مِّنَ اللَّه وَضُربَتْ عَلَيْهمُ الْمَسْكَنَةُ ، ذَلكَ بأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بآيَات اللَّه وَيَقْتُلُونَ الأَنبيَاءَ بغَيْر حَقٍّ ، ذَلكَ بمَا عَصَواْ وَكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ (٣) .

* « حبل من اللّه » تتمثل فى وثيقة حسين / مكماهون .

* « وحبل من الناس » :

(١) تتمثل فى وثيقة كامبل باترمان عام ١٩٠٧

(٢) وعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧

---

(١) الإسراء : ١٠٤ - ١٠٥ (٢) الحشر : ٢ (٣) آل عمران : ١١٠ - ١١٢

(٣) وضع فلسطين تحت سلطة الانتداب البريطانى .

(٤) فتح باب الهجرة لليهود إلى فلسطين .

(٥) إنشاء الوكالة اليهودية .

(٦) إنشاء جامعة الدول العربية .

(٧) اعتراف ترومان عام ١٩٤٨ بقيام إسرائيل .

* **العلاج :**

الوحدة العربية الإسلامية : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (١) .

* * *

---

(١) الأنبياء : ٩٢

الفصل السادس

تنبؤات المسيح عيسى ابن مريم
عن محمد رسول الله وخاتم النبيين

قال الله سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (١) .

أولا - من هو يسوع المسيح حسب الكتب

١ - هل يسوع المسيح إنسان أم إله ؟

نادى يسوع قائلاً : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية . وهى التى تشهد لى . ولا تريدون أن تأتوا إلىَّ لتكون لكم حياة .

مجداً من الناس لست أقبل . ولكنى قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله فى أنفسكم . أنا قد أتيت باسم أبى ولستم تقبلوننى . إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه . كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض . والمجد الذى من الإله الواحد لستم تطلبونه .

لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الآب . يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم . لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى . فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامى » (٢) .

---

(١) الصف : ٦

(٢) يوحنا ٥ : ٣٩ - ٤٧

● **إنه رسول الله :**

« ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلاً : مَن يقول الناس إنى أنا ، ابن الإنسان ؟ فقالوا : قوم يوحنا المعمدان ، وآخرون إيليا ، وآخرون : إرميا أو واحد من الأنبياء . قال لهم : وأنتم مَن تقولون إنى أنا ؟ فأجاب سمعان بطرس وقال : أنت المسيح ابن الله الحى » (١) .

● **إنه إنسان :**

« وإذا واحد تقدم وقال له : أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعونى صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله . ولكن إن أردتَ أن تدخل الحياة فاحفظ الوصيا » (٢) .

(نفى عن نفسه الألوهية) .

ولقد علم بنور النبوة سرائر اليهود ففضحهم قائلاً : « ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » (٣) .

(إقرار بإنسانيته وأنه رسول الله يسمع ما يوحى إليه ويتكلم بما يوحى إليه من الله) .

● **إنه إنسان لا يعلم الساعة ولا الغيب :**

١ - « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب » (٤) .

٢ - « وفى الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع . فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط فقال لها : لا يكن منك ثمر إلى الأبد . فيبست التينة فى الحال » (٥) .

(وهل تستحق الشجرة اللعنة) ؟

---

(١) متى ١٦ : ١٣ - ١٥ (٢) متى ١٩ : ١٦ - ١٧ (٣) يوحنا ٨ : ٤٠ .

(٤) مرقس ١٣ : ٣٢ (٥) متى ٢١ : ١٨ - ١٩

● إنه إنسان ينعس وينام :

« ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه . وإذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر حتى غطت الأمواج السفينة . وكان هو نائماً . فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين : يا سيد نجنا فإننا نهلك » (١) .

(وهل اللّه ينعس أو ينام) ؟

وتقول الكتب : « لا ينعس حافظك . إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل . الرب حافظك » (٢) .

● وجاء فى القرآن الكريم قوله :

﴿ اللَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ ، لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ، لَهُ مَا فِى السَّمَوات وَمَا فِى الأَرْضِ ، مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِه ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ، وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِه إِلاَّ بِمَا شَاءَ ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوات وَالأَرْضَ ، وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا ، وَهُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ ﴾ (٣) .

* * *

٢ - هل نادى يسوع المسيح بالتوحيد أم بالتثليث ؟

إن رسالة يسوع – وهى الامتداد الطبيعى لرسالة موسى – هى رسالة التوحيد الخالص :

– « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » (٤) .

---

(١) متى ٨ : ٢٣ – ٢٥

(٢) مزمور ١٢١ : ٣ – ٤

(٣) البقرة : ٢٥٥

(٤) يوحنا ١٧ : ٣

– « فتعجب اليهود قائلين : كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم ؟ أجابهم يسوع وقال : تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني . إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي . مَن يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه . وأما مَن يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم » (١) .

وكان القرآن الكريم مصدقاً لإقرارات يسوع المسيح لقوله سبحانه :

– ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢) .

– ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾ (٣) .

ومن إجاباته على أحد الكتبة – أي أحد فقهاء الشريعة – أنه قال : « فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله : أية وصية هي أول الكل ؟ فأجابه يسوع : إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد » (٤) .

إنه نطق بما سبق به موسى من قبل :

– « اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد . فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك » (٥) .

ظهر يسوع رسولاً نبياً إلى بني إسرائيل على شريعة موسى وملتزماً بها فصرخ قائلاً : « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض ، بل لأكمل » (٦) .

وملتزماً بها : « ولما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة . وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلاً : يا سيد إن أردت تقدر أن تطهرني . فمد يسوع يده ولمسه قائلاً :

---

(١) يوحنا ٧ : ١٥ – ١٨ (٢) آل عمران : ٤٦ (٣) آل عمران : ٤٨

(٤) مرقس ١٢ : ٢٨ – ٢٩ (٥) التثنية ٦ : ٤ (٦) متى ٥ : ١٧

أريد فاطهر . وللوقت طهر برصه . فقال له يسوع : انظر أن لا تقول لأحد . بل اذهب أر نفسك للكاهن وقدِّم القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم » [١] .

وقال يسوع عن ذات الله وكيفية عبادته : « الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » [٢] .

وقال كذلك عن ذات الروح القدس : « وكل مَن قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له . وأما مَن جدَّف على الروح القدس فلا يُغفر له . ومتى قدموكم إلى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف أو بما تحتجون أو بما تقولون . لأن الروح القدس يعلمكم فى تلك الساعة ما يجب أن تقولوه » [٣] .

والتوراة تفسر وتشرح المراد بالروح القدس فتقول : « ها أنا مرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك فى الطريق وليجئ بك إلى المكان الذى أعددته . احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه . لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمى فيه » [٤] .

وجاء فى إنجيل لوقا عن حلول الروح القدس :

– عن يوحنا بن زكريا : « ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس » [٥] .

– عن يسوع ابن مريم : « الروح القدس يحل عليك » [٦] .

– عن اليصابات امرأة زكريا : « وامتلأت اليصابات من الروح القدس » [٧] .

– وعن زكريا : « وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً » [٨] .

– وبعد معمودية يسوع : « أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس وكان يُقتاد بالروح فى البرية » [٩] .

---

(١) متى ٨ : ١ – ٤
(٢) يوحنا ٤ : ٢٤
(٣) لوقا ١٢ : ١٠ – ١٢
(٤) الخروج ٢٣ : ٢٠ – ٢١
(٥) لوقا ١ : ١٥
(٦) لوقا ١ : ٣٥
(٧) لوقا ١ : ٤١
(٨) لوقا ١ : ٦٧
(٩) لوقا ٤ : ١

وإليك قرينة من العهد القديم – إرميا النبى :

« فكانت كلمة الرب إلىَّ قائلاً : قبلما صورتك فى البطن عرفتك ، وقبلما خرجتَ من الرحم قدستك . جعلتك نبياً للشعوب » [(١)] .

● حلول روح الرب على داود بعد مسحه بالدهن ومن ثم يطلق عليه مسيح الرب :

– « فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه فى وسط أُخوته . وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً » [(٢)] .

والقرآن الكريم وهو الحق حيث يقول الله سبحانه :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [(٣)] .

* * *

٣ – ما موقف الشعب اليهودى من يسوع المسيح ؟

صرَّح يسوع بأنه رسول إلى بنى إسرائيل قائلاً : « لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » [(٤)] .

إن يسوع استخدم منهج البديع والبيان فى خطابه وفى أمثاله فاستخدم التشبيه والاستعارة والمجاز والتورية وهو ما يجده الباحث المدقق فى تعبيراته .

من ذلك قوله : « طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون » [(٥)] – فهنا مجاز .

---

(١) إرميا ١ : ٤ – ٥

(٢) صموئيل الأول ١٦ : ١٣

(٣) البقرة : ٢٥٣

(٤) متى ١٥ : ٢٤

(٥) متى ٥ : ٩

وقول يوحنا المعمدان : « هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالَم » [١] - فهنا استعارة « حمل الله » للتدليل على التواضع والوداعة .

إن يسوع المسيح برئ من شُبهة البنوة الحقيقية لله ، وقد جاءت فى مواضع كثيرة على سبيل المجاز لا الحقيقة ، من ذلك :

- « إسرائيل ابنى البكر » [٢] .
- « أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابناً » [٣] .
- « وهو يكون لى ابناً وأنا له أباً » [٤] .
- « من مصر دعوتُ ابنى » [٥] .
- « وكان صوت من السماء قائلاً أنت ابنى الحبيب بك سررت » [٦] .
- « آدم ابن الله » [٧] .
- « وصارت صوت من السحابة قائلاً : هذا هو ابنى الحبيب له اسمعوا »[٨] .

إن يسوع برئ من شُبهة البنوة الحقيقية لله وكذلك الأناجيل . أما مصدر هذه الشُبهة الوحيد فهو رسائل بولس فقط . فبولس الذى ادعى أنه رسول يسوع المسيح شاء المواءمة بين الفكر الرومانى والفكر اليهودى فكانت شُبهة البنوة وهى من صميم العقيدة الرومانية : « ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال : حقاً كان هذا الإنسان ابن الله » [٩] .

ومن أقوال بولس - مختلق شُبهة البنوة الحقيقية :

- « فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية » [١٠] .

---

(١) يوحنا ١ : ١٩ (٢) الخروج ٤ : ٢٢
(٣) صموئيل الثانى ٧ : ١٤ (٤) أخبار الأيام الأول ٢٢ : ١٠
(٥) هوشع ١١ : ١ (٦) لوقا ٣ : ٢١ (٧) لوقا ٣ : ٣٨
(٨) لوقا ٩ : ٣٥ (٩) مرقس ١٥ : ٣٩ (١٠) رومية ٨ : ٣

- « الذى لم يشفق على ابنه بل بذله .. » [١] .

- « أرسل اللّه ابنه مولوداً من امرأة ... » [٢] .

- « إذ كان فى صورة اللّه لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً للّه . لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائر فى شبه الناس » [٣] .

- « الذى هو صورة اللّه غير المنظور بِكر كل خليقة » [٤] .

- « وبالإجماع عظيم هو سر التقوى اللّه ظهر فى الجسد » [٥] .

- « اللّه بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة . كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه » [٦] .

وتقف الأناجيل جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم لتفنيد هذه الشُبهة ودحضها حيث يقول اللّه سبحانه :

- ﴿ وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ، سُبْحَانَهُ ، بَل لَّهُ مَا فِى السَّمَوات وَالأَرْض ، كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ ، وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٧] .

أيَّد اللّه يسوع المسيح بالمعجزات لكى يؤمن به بنو قومه اليهود . كما سبق وأيَّد موسى وإيليا من قبل ، فهذا موسى بعد انتصاره على فرعون :

- « فخلص الرب فى ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر . ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذى صنعه الرب بالمصريين . فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى » [٨] .

---

(١) رومية ٨ : ٣٢ (٢) غلاطية ٤ : ٤ (٣) فيلبى ٢ : ٦ - ٧

(٤) كولوسى ١ : ١٥ (٥) تيموثاوس الأولى ٣ : ١٦

(٦) العبرانيون ١ : ١ - ٤ (٧) البقرة : ١١٦ ، ١١٧

(٨) الخروج ١٤ : ٣٠ - ٣١

وذلك إيليا بعد أن أحيا ابن الأرملة بإذن اللّٰه قالت المرأة :

- « فأخذ إيليا الولد ونزل به من العلية إلى البيت ودفعه لأمه . وقال إيليا : انظرى ابنك حى . فقالت المرأة لإيليا : هذا الوقت علمت أنك رجل اللّٰه وأن كلام الرب فى فمك حق » (١) .

وعلى نهج السَلَف الصالح خَرَّ يسوع على وجهه يصلى :

- « ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى . وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى . ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت : ليؤمنوا أنك أرسلتنى . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هلم خارجاً . فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع : حُلُّوه ودعوه يذهب . فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به » (٢) .

فإحياؤه للعازر ليس لأنه هو إله متجسد كما تزعم الكنيسة ، وإنما برهان وحُجَّة على أنه نبى اللّٰه مثل موسى وإيليا .. هذا وفى موضع آخر أقام ابن الأرملة بإذن اللّٰه فانبهر الجميع ومجَّدوا اللّٰه .

- « فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ابن وحيد لأمه وهى أرملة ومعها جمع كثير من المدينة . فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها : لا تبكى . ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون . فقال : أيها الشاب لك أقول قم . فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه . فأخذ خوف ومجَّدوا اللّٰه قائلين : قد قام فينا نبى عظيم وافتقد اللّٰه شعبه . وخرج هذا الخبر عنه فى كل اليهودية وفى جميع الكورة المحيطة » (٣) .

وفى مقابل انبهار الشعب اليهودى بيسوع حسده رؤساء الكهنة .

* * *

---

(١) الملوك الأول ١٧ : ٢٣ - ٢٤ (٢) يوحنا ١١ : ٤١ - ٤٥ (٣) لوقا ٧ : ١٢ - ١٧

٤ - ما موقف رؤساء الكهنة منه ؟

شهد عليهم الوالي الروماني بيلاطس البنطي قائلاً : « لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسداً » (١) .

● اجتماع أحبار اليهود في أورشليم للتآمر على حياة يسوع على إثر إحياء لعازر بإذن الله :

- « فجمع رؤساء الكهنة الفريسيون مجمعاً وقالوا : ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة . إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا . فقال لهم واحد منهم - وهو قيافا ، كان رئيساً للكهنة في تلك السنة : أنتم لستم تعرفون شيئاً . ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد من الشعب ولا تهلك الأمة كلها » (٢) .

- « فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه . فلم يكن يسوع أيضاً يمشي بين اليهود علانية » (٣) .

- « وكان أيضاً رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمراً أنه إن عرف أحد أين هو فليدل عليه لكي يمسكوه » (٤) .

- « فقال الفريسيون بعضهم لبعض : انظروا . إنكم لا تنفعون شيئاً هو ذا العالم قد ذهب وراءه » (٥) .

كان يسوع يتكلم بأمثال ، وقد ضرب لهم مثل الكرمة والكرّامين وعبيد السيد صاحب الكرمة وأنبأهم بانتزاع النبوة والكتاب والملك منهم ليُعطى لخير أُمة أُخْرِجت للناس : « ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيين أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم . وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي » (٦) .

---

(١) مرقس ١٥ : ١٠ . (٢) يوحنا ١١ : ٤٧ - ٥٠ . (٣) يوحنا ١١ : ٥٣ - ٥٤

(٤) يوحنا ١١ : ٥٧ (٥) يوحنا ١٢ : ١٩ (٦) متى ٢١ : ٤٥ - ٤٦

فتربصوا به وترصدوا له : « وفيما هو يكلمهم بهذا ابتدأ الكتبة والفريسيون يحنقون جداً ويصادرونه على أمور كثيرة . وهم يراقبونه طالبين أن يصطادوا شيئاً من فمه لكى يشتكوا عليه » [1] .

واحتالوا عليه لكى يمسكوه بتهمة ويدفعون به إلى حكم الوالى الرومانى : « فراقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكى يمسكوه بكلمة حتى يسلموه إلى حكم الوالى وسلطانه ، فسألوه قائلين : يا معلم ، نعلم أنك بالاستقامة تتكلم وتُعلِّم ولا تقبل الوجوه بل بالحق تُعلِّم طريق اللّه . أيجوز لنا أن نعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فشعر بمكرهم وقال لهم : لماذا تجربوننى . أرونى ديناراً . لمن الصورة والكتابة ؟ فأجابوا وقالوا : لقيصر . فقال لهم : أعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما للّه للّه . فلم يقدروا أن يمسكوه بكلمة قدام الشعب . وتعجبوا من جوابه وسكتوا » [2] .

* * *

٥ - ما موقف الرومان منه ؟

الرومان : نساءً ورجلاً يشهدون أنه بار وأنهم أسلموه حسداً .

(أ) امرأة بيلاطس تشهد بأنه بار :

- « وإذ كان جالساً على كرسى الولاية أرسلت إليه امرأته قائلة : إياكَ وذلك البار . لأنى تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله » [3] .

(ب) بيلاطس بعد محاكمته ليسوع علم أنهم أسلموه حسدا :

- « لأنه علم أنهم أسلموه حسداً » [4] .

---

(١) لوقا ١١ : ٥٣ - ٥٤ (٢) لوقا ٢٠ : ٢٠ - ٢٦

(٣) متى ١٧ : ١٩ (٤) متى ٢٧ : ١٨

(٣) بيلاطس يتبرأ من دم هذا البار :

- « فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماءً وغسل يديه قدام الجمع قائلاً : إنى برئ من دم هذا البار ، أبصروا أنتم » (١) .

(٤) قائد المئة الرومانى يشهد بأنه بار :

- « فلما رأى قائد المئة ما كان مجّد الله قائلاً : بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً » (٢) .

● اللعنة حلت على بنى إسرائيل :

- « فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذ أطلق لهم باراباس . وأما يسوع فجلده وأسلمه ليُصلب » (٣) .

إن يسوع المسيح رفعه الله إليه وصلب عوضاً عنه يهوذا الأسخريوطى جزاءً لخيانته وهذا ما نقيم الحُجّة عليه فى الكلمة التالية ..

* * *

٦ - هل قتل يسوع على الصليب .. أم رفعه الله إليه وشبه لهم أنهم قتلوه ؟

تحدى يسوع اليهود فى مواضع ثلاثة وهى :

١ - « ستطلبوننى ولا تجدوننى وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » (٤) .

٢ - « قال لهم يسوع أيضاً : أن أمضى وستطلبوننى وتموتون فى خطيتكم . حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » (٥) .

٣ - « يا أولادى أنا معكم زماناً قليلاً بعد . ستطلبوننى وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » (٦) .

---

(١) متى ٢٣ : ٤٧ (٢) لوقا ٢٣ : ٤٧ (٣) متى ٢٧ : ٢٥ - ٢٦

(٤) يوحنا ٧ : ٣٤ (٥) يوحنا ٨ : ٢١ (٦) يوحنا ١٣ : ٣٣

● **يسوع مطمئن إلى رعاية الله وحفظه إياه فيقول :**

– « والذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى الآب وحدى لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه » [1] .

وكتاب العهد القديم ملئ بالشواهد وأن الله لن يتخلى عن الصدِّيقين .. فممن رفعه الله إليه :

١ – أخنوخ : « وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه » [2] .

٢ – إيليا : « وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار نفصلت بينهما فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء » [3] .

وممن نجوا من النار ومن الأسود الجائعة :

١ – الفتية الثلاثة : « حينئذ تحيَّر نبوخذنصر الملك وقام مسرعاً فأجاب وقال لمشيريه : ألم نلق ثلاثة رجال موثقين فى وسط النار ؟ فأجابوا وقالوا للملك : صحيح أيها الملك . أجاب وقال : ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين يتمشون فى وسط النار وما بهم ضرر ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة .... ورأوا هؤلاء الرجال الذين لم تكن للنار قوة على أجسامهم وشعرة من رؤوسهم لم تحترق .. » [4] .

٢ – دانيال فى جب الأسود : « إلهى أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضرنى لأنى وُجِدت بريئاً قدامه وقدامك أيضاً أيها الملك لم أفعل ذنباً » [5] .

ويذكر القرآن الكريم قصة المؤامرة على إبراهيم وقذفه فى النار فيقول الله تعالى :

---

(١) يوحنا ٨ : ٢٩ (٢) التكوين ٥ : ٢٤ (٣) الملوك الثانى ٢ : ١١

(٤) دانيال ٣ : ٢٤ – ٢٧ (٥) دانيال ٦ : ٢٢

- ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ، وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ (١) .

هذه قرائن للتدليل على عناية الله ورعايته للأنبياء والصدِّيقين وهى برهان حى قائم لئلا يكون لأهل الكتاب من النصارى على الله حُجَّة بعد هذه القرائن من التوراة والقرآن الكريم . والآن نأتى إلى حقيقة رفع يسوع دون أن يُقتل أو يُصلب ، فنقول بادئ ذى بدء : يقرر « لوقا » كيفية تدوين الإنجيل فيقول :

- « إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا . كما سلَّمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخُدَّاماً للكلمة . رأيتُ أنا أيضاً إذ قد تتبعتُ كل شئ من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » (٢) .

لعلك تستنبط من هذا الإقرار أن الأناجيل بوضعها الراهن هى قصة من تصنيف مؤلفيها عن « كما سلَّمها إلينا الذى كانوا منذ البدء معاينين وخُدَّاماً للكلمة » ومن ثَمَّ فإن المؤلفين لم يكونوا شهود عيان ليسوع المسيح ، هذا فضلاً أن الإنسان عُرضة للسهو والنسيان مما يتسبب عنه إسقاط عبارات أو استدراك بزيادة عبارات ، ونقيم الدليل أنه من المعروف أن « متى » نقل عن إنجيل « مرقس » ، وجاء فى إنجيل « مرقس » عن الساعة وعلمها :

- « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب » (٣) .

---

(١) الأنبياء : ٦٨ - ٧٢ (٢) لوقا ١ : ١ - ٤ (٣) مرقس ١٣ : ٣٢

نقل « متى » هذا النص فى إنجيله هكذا :

- « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده » (١) .

ويبدو واضحاً سقوط « الابن » فى نقل متى عن مرقس ، بل فى الإنجيل الواحد ، بل فى صحيفتين متقابلتين نكتشف إسقاط عبارة تغير المعنى تغييراً جذرياً .

من إنجيل يوحنا .. من صلاة يسوع المسيح : « حين كنت معهم فى العالَم كنت أحفظهم فى اسمك الذين أعطيتنى حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب » (٢) .

إن مدوِّن هذا الإنجيل أراد أن يستشهد بهذا النص ، ففى الصفحة المقابلة وفى (الإصحاح الثامن عشر والعدد التاسع) : « ليتم القول الذى قاله : إن الذين أعطيتنى لم أهلك منهم أحد » (٣) .

من الواضح استنباط إسقاط هذه العبارة : « إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب » وهذا الإسقاط سواء أكان سهواً أم عمداً فإنه يُغيِّر المعنى تغييراً جذرياً .

وهكذا سنجد الكثير من الإسقاطات تقتصر على قضية : هل قُتِل يسوع على الصليب أم رفعه اللّه إليه وصُلِب الخائن عوضاً عنه ؟

إن نظرة واحدة نلقيها على الإصحاحات الأخيرة من الأناجيل الأربعة نجد أن يسوع كان فى كرب شديد وحزن أشد فكان يصلى لدرجة « وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عَرَقه كقطرات دم نازلة على الأرض » (٤) .

---

(١) متى ٢٤ : ٣٦
(٢) يوحنا ١٧ : ١٢
(٣) يوحنا ١٨ : ٩
(٤) لوقا ٢٢ : ٤٤

وخرج من الصلاة ليواجه الجند وخُدَّام رؤساء الكهنة بقيادة يهوذا الأسخريوطى الخائن : « فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم : مَن تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى . قال لهم يسوع : أنا هو . وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم . فلما قال لهم : إنى أنا هو ، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض » (١) .

تأمل وتدبر فى تأن لهذا النص الكتابى وسيؤدى بنا إلى الوصول إلى حقيقة علمية ظلت خافية على الكنيسة ألفى سنة ، ولئن كانت غامضة على الكنيسة منذ أن رفع اللّه يسوع إليه ، فإن القرآن الكريم أعلنها واضحة جلية لقول اللّه سبحانه : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ، مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (٢) .

جاء فى النص من إنجيل يوحنا : « فلما قال لهم : إنى أنا هو ، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض » (٣) .

وهنا نتساءل : ما الذى قذف فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض ؟

ولما كانت الأناجيل الأربعة من وجهة نظر رجال اللاهوت المسيحى تعطى صورة كاملة لشخص يسوع من أربعة زوايا تكمل بعضها البعض . فإننا نعود إلى إنجيل من الأناجيل نبحث عن قرينة مماثلة . ولعلنا قد وجدنا الحل فى إنجيل لوقا حيث جاءت بشارة السماء بمولد يسوع فيقول لوقا :

- « وكان فى تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم . وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً .

---

(١) يوحنا ١٨ : ٤ - ٦ (٢) النساء : ١٥٧ ، ١٥٨ (٣) يوحنا ١٨ : ٦

فقال لهم الملاك : لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب » [1] .

فإذا أخذنا العدد التاسع من الإصحاح الثانى من إنجيل لوقا ووضعناه بين قول يسوع : « إنى أنا هو » وحركة الجند فى رعب هكذا : « فلما قال لهم إنى أنا هو . (وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفاً عظيماً) فرجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض » [2] .

وللتدليل على هذه الحقيقة تصريحات المقبوض عليه :

- « ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم . قائلين : إن كنت أنت المسيح فقل لنا . فقال لهم : إن قلت لكم لا تصدقون . وإن سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى . منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين قوة الله » [3] .

وتحققت تنبؤات الكتب بنجاة يسوع :

- « يسقط عن جانبك ألف وربوات عن يمينك . إليك لا يقرب إنما بعينيك تنظر وترى مجازاة الأشرار » [4] .

- « لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك . على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك » [5]

* * *

---

(١) لوقا ٢ : ٨ - ١٠ .

(٢) يوحنا ١٨ : ٦ ، ولوقا ٢ : ٩

(٣) لوقا ٢٢ : ٦٦ - ٦٩

(٤) مزمور ٩١ : ٧ - ٨

(٥) مزمور ٩١ : ١١ - ١٢

ثانيا : ما تنبؤات يسوع عن النبى الذى يأتى بعده ؟

ا - البشرى بملكوت الله :

قال الله سبحانه :

- ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١) .

- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (٢) .

- ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (٣) .

كان بنو إسرائيل فى زمانهم شعب الله المختار . وبالأحرى كانت ذُرِّية إبراهيم على العموم هى شعب الله المختار ، ومن ذُرِّية إبراهيم إسماعيل ابن هاجر الذى أراد بنو إسرائيل أن يطمسوا معالمه ويسلبوا حقوقه فأسدلوا ستاراً كثيفاً عليه يبدو فى قول جدتهم سارة : « فقالت لإبراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها . لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحاق » (٤) .

وظل بنو إسرائيل يتبوأون مركز الصدارة حتى بطروا أنعم الله وتعدوا وصاياه : « وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل .. فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من أمامه » (٥) .

حتى كان عصر يسوع المسيح : « ووجد فى الهيكل الذين كانوا يبيعون بقراً وغنماً وحماماً والصيارف جلوساً . فصنع سوطاً من حبال وطرد الجميع من الهيكل . الغنم والبقر وكب دراهم الصيارف وقلب موائدهم . وقال لباعة الحمام : ارفعوا هذه من ههنا. لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة » (٦) .

---

(١) الأنبياء : ٩٢ (٢) البقرة : ١٤٣ (٣) آل عمران : ١١٠ .

(٤) التكوين ٢١ : ١٠ . (٥) الملوك الثانى ١٧ : ١٦ - ١٨

(٦) يوحنا ٢ : ١٤ - ١٦

وأنبأهم بالتشريد والذلة والمسكنة قائلاً : « يا أورشليم يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين .. هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً » [1] .

فنادى يسوع المسيح بملكوت الله العتيد قائلاً : « من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرِّز ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » [2] .

ثم نادى بالملكوت وبَشَّر بالنبى الذى يأتى بعده : « جاء يسوع إلى الجليل يُكرِّز ببشارة ملكوت الله . ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » [3] .

ولقد ظن اليهود أنهم آن لهم أن يتحرروا من عبوديتهم للرومان وآن لهم تهيأة الملكوت كما سبق وتنبأ به إشعياء النبى قائلاً : « ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله . ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب . ولذته تكون فى مخافة الرب فلا يقضى بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه . بل يقضى بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه . ويكون البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه » [4] .

ظنوا وتوقعوا ظهور ملكوت الله فتمردوا على الإمبراطورية الرومانية فى بيت مقدسهم فى أورشليم ، ومع الاعتراف الكامل بحقيقة أن يسوع وتلاميذه كانوا يتوقعون النهاية الوشيكة للعالَم ، فإن الدراسة المتأنية للعقائد اليهودية التى شاعت فى الفترة من عهد المكابيين (عام ١٦٨ ق . م .) حتى مطلع القرن الأول الميلادى ، تبيِّن أن هذه الفكرة لم تكن أمانى وآمال تختص

(١) لوقا ١٣ : ٣٤ - ٣٥ (٢) متى ٤ : ١٧

(٣) مرقس ١ : ١٤ ، ١٥ - والإنجيل كلمة إغريقية معرَّبة ، وتعنى : أنباء سارة عن النبى القادم وملكوت الله . كما يعنى : البشارة .

(٤) إشعياء ١١ : ١ - ٥

بالمسيحيين وحدهم لكنه التوقع العام للشعب اليهودى وهو « كانوا يظنون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر فى الحال »[1] .

* * *

٢ - البشرى بالباراقليط حسب النص الإغريقى :

من المعلوم يقينياً أن كتاب العهد الجديد دُوِّن باللغة الإغريقية ، لذلك من الحكمة والفطنة أن ندرس النص فى لغته الأصلية التى دُوِّن بها لا من الترجمات .

والكلمة الإغريقية « الباراقليط » وقد ورد معناها فى قاموس اللغة اليونانية على هذا النحو :

١ - المعزِّى .　　٢ - المحامى .　　٣ - الشفيع .

٤ - المحمَّد .　　٥ - المحمود .

فجاءت فى ترجمتها العربية « المعزِّى » فى النصوص الآتية :

١ - « فيعطيكم معزِّياً آخر »[2] .

٢ - « وأما المعزِّى »[3] .

٣ - « ومتى جاء المعزِّى »[4] .

٤ - « يأتيكم المعزِّى »[5] .

٥ - « وأما متى جاء ذاك المعزِّى »[6] .

وجاءت فى ترجمتها العربية « الشفيع » فى النص التالى :

- « قلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار »[7] .

---

(١) لوقا ١٩ : ١١　　(٢) يوحنا ١٤ : ١٦　　(٣) يوحنا ١٤ : ٢٦

(٤) يوحنا ١٥ : ٢٦　　(٥) يوحنا ١٦ : ٧　　(٦) يوحنا ١٦ : ١٣

(٧) رسالة يوحنا الأولى ٢ : ١

ومن الوحى الإلهى والإلهامات الإلهية أن قال من قال عنه ربه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى ﴾ [1] :

عن جبير بن مطعم ، قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « إن لى أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يُحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب » [2] - والعاقب : الذى ليس بعده شئ [3] .

وجاء فى المعجم الوسيط : « حمده حمداً » : أثنى عليه - « أحمد الرجل غيره » : صار محموداً . و « أحمد » : فعل ما يُحمد عليه [4] .

ومن عجب أن الترجمة الإنجليزية هى (Comforter) المعزِّى ، المشجع ، المواسى ، وهى أيضاً (Advcocate) وتعنى المحامى ، المؤيد .

* * *

٣ - البشرى بنبى يسمع ويتكلم ويقوم بالدور الذى قام به يسوع المسيح :

تنبأ يسوع قائلاً : « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزِّياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق » [5] .

التفسير والشرح

خاب أمل يسوع فى تلاميذه لأنهم لم يفهموا شيئاً وكانوا نفعيين فبطرس قال له : « ها نحن قد تركنا كل شئ وتبعناك . فماذا يكون لنا » ؟ [6] ،

---

(١) النجم : ٣ - ٥

(٢) متفق عليه - وانظر مشكاة المصابيح للتبريزى جـ ٣ ص ١٦٠٩ رقم الحديث ٥٧٧٦

(٣) هذا التفسير ليس من الحديث بل من بعض رواته ، ففى رواية لمسلم وكذا أحمد (٨٤/٤) : « قال معمر : قلت للزهرى : ما العاقب ؟ قال : الذى ليس بعده نبى » .

(٤) الجزء الأول ص ١٩٦ (٥) يوحنا ١٤ : ١٥ - ١٧ (٦) متى ١٩ : ٢٧

« وتقدم إليه يعقوب ويوحنا ابنا زبدى قائلين : يا معلم ، نريد أن تفعل لنا كل ما طلبنا » (١) .

هذا .. ولم يفهموا مغزى الآيات التى يصنعها الله بيده : « فبهت الجميع من عظمة الله وإذ كان الجميع يتعجبون من كل ما فعل يسوع قال لتلاميذه : ضعوا أنتم هذا الكلام فى آذانكم . إن ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدى الناس . وأما هم فلم يفهموا هذا القول وكان مخفى عنهم لكى لا يفهموه . وخافوا أن يسألوه عن هذا القول » (٢) .

وأخذ الإثنى عشر ليحدثهم عن المصير المحتوم : « وقال لهم : ها نحن صاعدون إلى أورشليم وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان . لأنه يسلم إلى الأمم ويُستهزأ به ويُشتم ويُتفل عليه ويجلدونه ويقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم . وأما هم فلم يفهموا من ذلك شيئاً وكان هذا الأمر مخفى عنهم ولم يعلموا ما قيل » (٣) .

من هذا يتبين أن الحاجة ماسة لمن يحمل رسالة النبوة ، فتنبأ عن النبى الذى يأتى من بعده وأبان أن من خصائصه أنه « روح الحق » .. إنه حقاً الصادق الأمين ، فكان يصلى إلى الله ليرسله إلى الناس كافة لتكمل به الرسالة ، وبابتعاث محمداً رسولاً نبياً قال الله سبحانه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً ﴾ (٤) .

كان يصلى ليرسل الله معزّياً آخر وحسب النص اليونانى (Ho Parakletos allon) فإذا قال « آخر » . فإنه يعنى أن هناك « مسياً » أول فكيف نستدل على المسيا الأول ؟

---

(١) مرقس . ١ : ٣٥

(٢) لوقا ٩ : ٤٣ - ٤٥

(٣) لوقا ١٨ : ٣١ - ٣٤

(٤) المائدة : ٣

يجيب عن هذا يوحنا فى رسالته الأولى فيقول : « وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار » [1] .

وحسب النص اليونانى « وإن أخطأ أحد فلنا (Parakletos) عند الآب يسوع المسيح البار » .

إذن كلمة « المعزّى » فى إنجيل يوحنا (١٤ : ١٦) (Parakletos) .

وكلمة « الشفيع » فى رسالة يوحنا الأولى (٢ : ١) : (Parakletos) ، فهما نبيان صنوان . بل إن كلمة (allon) تعطى حقيقة يقينية وهى تعنى آخر مماثل . ولم ترد الكلمة (Heteros) التى تعنى آخر مغاير ، وهذه الكلمة تؤكد أن نبوءة يسوع عن النبى الذى يأتى بعده مثلما تنبأ موسى من قبل قائلاً : « أقيم لهم نبياً من وسط أخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » [2] .

وكما تنبأ موسى عن التنزيل ، هكذا تنبأ يسوع المسيح أيضاً قائلاً : « ليمكث معكم إلى الأبد . روح الحق »

إشارة إلى القرآن الكريم الرسالة الخالدة إلى الأبد .

وعن الرسالة الخالدة : عن مالك بن أنس مرسلاً قال : قال رسول الله ﷺ : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسُنَّة رسوله » [3] .

* * *

جاءت نبوءة أخرى فى إنجيل يوحنا : « بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما المعزّى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته » [4] .

---

(١) رسالة يوحنا الأولى ٢ : ١
(٢) التثنية ١٨ : ١٨
(٣) رواه فى الموطأ .
(٤) يوحنا ١٤ : ٢٥ - ٢٦

ومن كتاب « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم » للدكتور « موريس بوكاى » الطبيب الفرنسى الذى أسلم وحسن إسلامه يقول سيادته شرحاً وتحليلاً لهذا النص من إنجيل يوحنا (١٤ : ٢٦) فى صفحة (١٢٨ ، ١٢٩) من كتابه المشار إليه :

« الفعلان اليونانيان (Laleo, Akouo) يعنيان فعلين ماديين لا يمكن أن يخصا إلا كائناً يتمتع بجهاز للسمع وآخر للكلام ، وبالتالى فتطبيق هذين الفعلين على « الروح القدس » أمر غير ممكن . إن نص هذه الفقرة من إنجيل يوحنا ، كما تسلمه لنا المخطوطات اليونانية ، غير مفهوم بالمرة إذا ما قبلناه فى تمامه مع كلمتى « الروح القدس » (فى الآية ٢٦ من الاصحاح ١٤) وهى : (Paraclet) الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى .. » إلخ .. إنها الجملة الوحيدة فى إنجيل يوحنا التى لا تثبت تطابقاً بين الـ (Paraclet) والروح القدس .

ولكن إذا حذفنا كلمتى الروح القدس (to Pneuma to agion) من هذه الجملة فإن نص يوحنا كله يقدم عندئذ دلالة شديدة الوضوح . ويضاف إلى ذلك أن هذه الدلالة تتخذ شكلاً مادياً وذلك من خلال نص آخر ليوحنا . وهو نص الرسالة الأولى حيث يستخدم هذه الكلمة (Paraclet) للإشارة ببساطة إلى المسيح باعتباره الوسيط لدى الله [١] .

وعندما يقول المسيح - حسب إنجيل يوحنا (١٤ : ١٦) - : « سأصلى لله وسيرسل لكم (Paraclet) « آخر » ، فهو يريد أن يقول : إنه سيرسل إلى البَشر « وسيطاً آخر » كما هو وسيطاً لدى الله وفى صالح البَشر فى أثناء حياته على الأرض .

---

(١) كثير من ترجمات الأناجيل والتعليقات عليها - والقديمة منها على وجه خاص - تترجم هذه الكلمة بالمعنى وهذا خطأ تام .

وذلك يقودنا بمنتهى المنطق إلى أن نرى في الـ (Paraclet) عند يوحنا كائناً بَشرياً مثل المسيح يتمتع بحاستى السمع والكلام ، وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع . إذن فالمسيح يصرِّح بأن الله سيرسل فيما بعد كائناً بَشرياً على هذه الأرض ليؤدى الدور الذى عرفه يوحنا ، ولنقل باختصار إنه دور نبى يسمع صوت الله ويكرر على مسامع البَشر رسالته .

ذلك هو التفسير المنطقى لنص يوحنا إذا أعطينا الكلمات معناها الفعلى .

إن وجود كلمتى « الروح القدس » فى النص الذى نملك اليوم قد يكون نابعاً من إضافة لاحقة إرادية تماماً تهدف إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض - بإعلانها بمجئ نبى بعد المسيح - مع تعاليم الكنائس المسيحية التى أرادت أن يكون المسيح هو خاتم الأنبياء .

* * *

٤ - البشرى بالقرآن الكريم المعجزة الخالدة :

جاء فى إنجيل يوحنا : « ومتى جاء المعزِّى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى . وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء » [١] .

نبدأ بشهادة التلاميذ صحابة يسوع المسيح ..

- بطرس يشهد بإنسانية يسوع فقول : « أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال . يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قِبَلِ الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون » [٢] .

- بطرس يشهد بأن يسوع مؤيداً بالروح القدس : « يسوع الذى من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذى جال يصنع خيراً ويشفى جميع

---

(١) يوحنا ١٥ : ٢٦ - ٢٧ (٢) أعمال الرسل ٢ : ٢٢

المتسلط عليهم إبليس لأن الله كان معه . ونحن شهود بكل ما فعل فى كورة اليهودية وفى أورشليم » [1] .

– نيقموديموس يشهد بأنه رسول الله : « كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود . هذا جاء إلى يسوع ليلاً وقال له : يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل إن لم يكن الله معه » [2] .

ثم ننتهى بشهادة القرآن الكريم إذ يقول الله سبحانه :

*** رسول الله :**

– ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وكَلِمَتُهُ ﴾ [3] .

– ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [4] .

– ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم ﴾ [5] .

– ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ [6] .

*** وجيها فى الدنيا ومن المقربين :**

– ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [7] .

* * *

---

(١) أعمال الرسل ١٠ : ٣٨ – ٣٩ (٢) يوحنا ٣ : ١ – ٢ (٣) النساء : ١٧١

(٤) المائدة : ٧٥ (٥) الصف : ٦ (٦) المؤمنون : ٥٠ .

(٧) آل عمران : ٤٥

٥ - البشرى بنبى يوحى إليه بآيات هى الإعجاز العلمى :

جاء فى إنجيل يوحنا : « وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به . ويخبركم بأمور آتية » [١] .

التفسير والشرح

* « روح الحق » :

تأكيد لشخصية النبى الذى يأتى بعد يسوع أنه روح الحق . وقد جاء فى « يوحنا » : إنه روح الحق [٢] ، وهذا ولا ريب يدحض افتراءات المستشرقين والمبشرين بأن يسوع تنبأ عن النبى الكذّاب فى قوله : « احترزوا من الأنبياء الكذبة » [٣] . هؤلاء الذين يفترون على محمد رسول الله ﷺ جهلوا أو تجاهلوا سياق الكلام فقد أبان المسيح هؤلاء الأنبياء الكذبة قائلاً : « ليس كل مَن يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات . كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب ، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » [٤] .

ويقول يوحنا فى رسالته الأولى عن الأنبياء الكذبة : « أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالَم » [٥] .

قال كذلك فى رسالته الأولى عن أضداد المسيح : « أيها الأولاد هى الساعة الأخيرة . وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتى قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون .

---

(١) يوحنا ١٦ : ١٣ (٢) يوحنا ١٤ : ١٧ (٣) متى ٧ : ١٥

(٤) متى ٧ : ٢١ - ٢٣ (٥) يوحنا الأولى ٤ : ١

من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة . منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعاً منا » (١) .

ويقول برنابا فى افتتاحية إنجيله : « أيها الأعزاء ، إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى . مبشرين بتعليم شديد الكفر . داعين المسيح ابن الله . ورافضين الختان الذى أمر به الله دائماً . مجوِّزين كل لحم نجس . الذين ضل فى عدادهم أيضاً بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى . وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع لكى تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله . وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً »(٢) .

هؤلاء هم الأنبياء الكذبة الذين كتبوا عنهم - يسوع المسيح ويوحنا وبرنابا فى انجيلهما - أما قول يوحنا عن النبى « الباراقليط » الآتى فإن سمته البارز أنه « روح الحق » : « وأما متى جاء ذاك روح الحق » .

*** « فهو يرشدكم إلى جميع الحق » :**

إن وظيفة النبى الذى يأتى بعد يسوع هى الترشيد للحق ولذلك يقول الله فى القرآن الكريم :

- ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ ﴾ (٣) .
- ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ، قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَىِّ ﴾ (٤) .
- ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ ﴾ (٥) .

---

(١) يوحنا الأولى ٢ : ١٨ - ١٩ (٢) إنجيل برنابا ٢ : ٩ (٣) البقرة : ٢٧٢
(٤) البقرة : ٢٥٦ (٥) القصص : ٥٦

* « لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به » :

يقول الله مؤكداً التنزيل العزيز : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (١) .

لقد سبق القرآن الكريم العلم الحديث فيما وصل إليه من الكشوف الألكترونية ، فقد طبع الله القرآن الكريم على قلب محمد رسول الله والذى استظهره على الفور مع أنه كما يقول الله سبحانه : ﴿ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ (٢) .

وصار القرآن الكريم منذئذ المعجزة الخالدة الأبدية ..

* « ويخبركم بأمور آتية » :

دلالة واضحة على الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ، ولقد حضرتُ المؤتمر الطبى الإسلامى الدولى عن الإعجاز العلمى للقرآن الكريم المنعقد بجامعة الدول العربية بالقاهرة فى الفترة (من ٢٢ - ٢٦ سبتمبر ١٩٨٥) وكانت المفاجأة السارة والمبهرة ونحن جلوس حول مائدة السيد رئيس الجمهورية فى مساء الخميس (٢٦ سبتمبر ١٩٨٥) بفندق ماريوت بالزمالك إذ نطق البروفيسور أليسون بالمر (Professor A. Palmer) رئيس اللجنة التنظيمية للمؤتمر المئوى للجمعية الجيولوجية الأمريكية نطق قائلاً : « أشهدُ أنْ لا إله إلاَّ الله وأشهدُ أنَّ محمداً رسول الله » فى حضرة مندوب رئيس الجمهورية والإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وفضيلة الدكتور وزير الأوقاف وقال : إن القرآن الكريم لا ريب هو كلام الله ، ثم تلا قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ (٣) .

---

(١) الشعراء : ١٩٢ - ١٩٧ (٢) الأعراف : ١٥٧ (٣) المؤمنون : ١٢ - ١٤

وتلا قوله سبحانه : ﴿ الَّذى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ من سُلاَلَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فيهِ مِن رُّوحِه ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ ، قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [1] .

وصرَّح قائلاً على رؤوس الأشهاد : إن العلماء قد قضوا سنوات مضنية من البحوث عن نشأة الجنين فى رحم المرأة وكيف تدب فيه الحياة . ولقد انبهر بالقرآن الكريم حينما استمع لتلاوة الشيخ عبد المجيد الزندانى لهذه الآيات وأبصرها بنفسه وقرأها فى تدبر ، وقال : إن القرآن الكريم سبق العلم الحديث فى هذا المضمار العلمى ، ومن ثَمَّ فإن القرآن الكريم هو كلام الله حقاً ، وإن محمداً هو رسول الله حقاً . وإنه لشرف كبير أن يعلن إسلامه ويبرأ من كل دين يغاير دين الله .

* * *

٦ - البشرى بنبى يدافع عن يسوع ويدفع عنه الشبهات :

جاء فى إنجيل يوحنا : « ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم » [2] .

أثار ظهور يحيى بن زكريا والمسيح عيسى ابن مريم بلبلة بين اليهود دفعتهم أن يسألوا يوحنا المعمدان قائلين :

- « أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر وأقر إنى لست أنا المسيح . فسألوه : إذن ماذا ، إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا . ألنبى [3] أنت ؟ ، فأجاب : لا » [4] .

إن ظهورهما فى عصر واحد قذف الرعب فى قلب هيرودس الملك : « فسمع هيرودس رئيس الربع بجميع ما كان منه وارتاب لأن قوماً كانوا يقولون : إن

---

(١) السجدة : ٧ - ٩ (٢) يوحنا ١٦ : ١٤

(٣) كان اليهود يتوقعون ظهور محمد ﷺ حسب الكتب . (٤) يوحنا ١ : ١٩ - ٢١

يوحنا قد قام من الأموات . وقوماً : إن إيليا ظهر . وآخرين : إن نبياً من القدماء قام . فقال هيرودس : يوحنا أنا قطعت رأسه . فمن هو هذا الذى أسمع عنه مثل هذا ؟ وكان يطلب أن يراه » [1] .

وفطن يسوع إلى هذه البلبلة فسأل تلاميذه قائلاً : « مَن تقول الجموع إنى أنا ؟ فأجابوا وقالوا : يوحنا المعمدان . وآخرون : إيليا ، وآخرون : إن نبياً من القدماء قام . فقال لهم : وأنتم مَن تقولون إنى أنا ؟ فأجاب بطرس وقال : مسيح الله » [2] .

ولد يسوع فى ناصرة الجليل وفى موطنه لم يحظ بشقة بنى وطنه : « ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا وقالوا : من أين لهذا هذه الحكمة والقوات ؟ أليس هذا ابن النجار . أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا . أو ليست أخواته جميعهن عندنا . فمن أين لهذا هذه كلها ؟ فكانوا يعثرون به . وأما يسوع فقال لهم : ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته . ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم » [3] .

ولد يسوع المسيح غريباً وعاش غريباً ورحل عن الدنيا غريباً ، وقد اختلف الناس على اختلاف درجاتهم حول مولده وحياته ورفعه إلى السماء . وانعقدت المجامع المسكونية من مجمع نيقية عام ٣٢٥ م إلى المجامع قبل بعثة محمد رسول الله ﷺ لمباحثة حياة المسيح فزادوا حياته تعقيداً وتمخضت هذه المجامع عن شبهات خمسة رئيسية هى :

١ - الإله المتجسد .
٢ - البنوة الإلهية .
٣ - الثالوث المقدس .
٤ - الخطيئة الأصلية .
٥ - الفداء (الصليب) .

---

(١) لوقا ٩ : ٧ - ٩
(٢) لوقا ٩ : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .
(٣) متى ١٣ : ٥٤ - ٥٨

وكان لا بد أن يوحى الله بكلامه لتفنيد ودحض هذه الشُبهات فأرسل الله محمداً رسوله : ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً * مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾ (١) .

هنا تنبأ يسوع المسيح عن محمد ﷺ قائلاً : « ذاك يمجدنى » (٢) – أى ذاك يدفع عنى الشُبهات .

١ – دحض شبهة الإله المتجسد :

– ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِى الأَرْضِ جَمِيعاً ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) .

– ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ المَسِيحُ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (٤) .

٢ – دحض شبهة البنوة الإلهية :

– ﴿ وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ، سُبْحَانَهُ ، بَل لَّهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٥) .

– ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ (٦) .

---

(١) الفتح : ٢٨ ، ٢٩ (٢) يوحنا ١٦ : ١٤ (٣) المائدة : ١٧

(٤) المائدة : ٧٢ (٥) البقرة : ١١٦ ، ١١٧ (٦) سورة الإخلاص كاملة .

٣ - دحض شبهة التثليث :

- ﴿ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ ، انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ ﴾ (١) .

- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ ﴾ (٢) .

٤ - دحض شبهة الخطيئة الأصلية :

- ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (٣) .

٥ - دحض شبهة الصلب :

- ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ، مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (٤) .

ولئن قال الأنبا شنودة بطريرك الكرازة المرقسية : « إن الأناجيل تقف جنباً إلى جنب لدحض هذه الشُبهات مع القرآن الكريم » وهذا حق ، ولكن مصدر هذه الشُبهات هى رسائل بوسل وحدها فهو المؤسس الحقيقى للمسيحية الرومانية ، أما المسيحية اليهودية فقد اندثرت تماماً لطغيان تعاليم بولس على تعاليم الأناجيل . ومع هذا فإن القرآن الكريم يرى من بين النصارى مَن هم أهل الرشاد والتقوى فيقول سبحانه :

﴿ لَيْسُواْ سَوَاءً ، مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ، وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٥).

وما توفيقى إلا بالله العلى العظيم .

* * *

---

(١) النساء : ١٧١ (٢) المائدة : ٧٣ (٣) الإسراء : ١٥

(٤) النساء : ١٥٧ - ١٥٨ (٥) آل عمران : ١١٣ - ١١٤

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

الفصل الثالث : التوراة والإنجيل بين الكاثوليك والبروتستانت
(٣٧ - ٤٨)

الصفحة

الصفحة

الصفحة

* * *

رقم الايداع ٧٢٤٣ / ٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) سورة النساء

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) سورة آل عمران

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) سورة المائدة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧) سورة النساء

دار المنار

للطبع والنشر والتوزيع

٩ شارع الباب الأخضر - ميدان الحسين - القاهرة

ص . ب ٦١ هليوبوليس - ت : ٩١٥٠٨٥